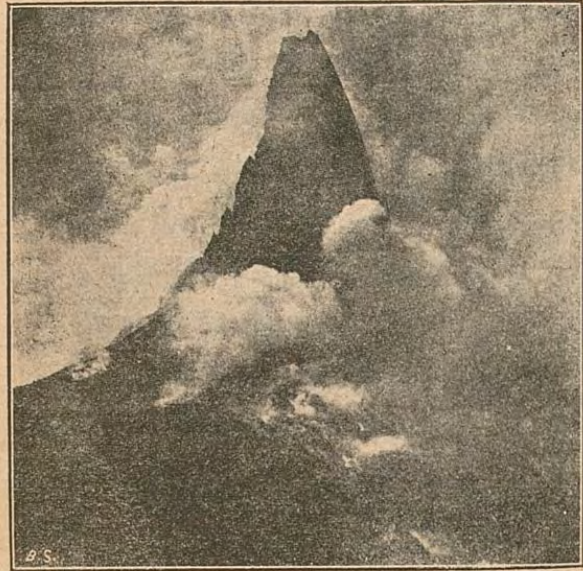


المقطف

الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣ - الموافق ١٠ رجب سنة ١٣٢١

قنّة بركان بيلى



كان المظنون ان بركان بيلى اكتفى بما جرّه من الخراب والدمار على مدينة سان بير والبلاد المجاورة لها ورضي بقطع رأسه جزاء قتله عشرات الالوف من بني آدم . لكن ابته القوى الطبيعية ان تقف عندما هو مألوف من ثوران البراكين وقذف الحمم والصخور ودفع المعادن المصهورة واجرائها كجاري الانهار فاخرجت من جوف ذلك البركان جبلاً متماسك الاجزاء رفعت في الجو رويداً رويداً حتى صار ارفع من الهرمين الكبيرين معاً . كان ارتفاع هذا

البركان قبل ان تار في العام الماضي ٤٤٠٠ قدم فلما تار وانقطع رأسه بقي من ارتفاعه ٢٥٠ قدماً اما الآن وقد نبت له هذا الرأس الجديد فبلغ ارتفاعه به ٥٠٧٠ قدماً وكان في اواخر شهر يونيو الماضي لا يزال آخذاً في الارتفاع حتى انه ارتفع ٢١ قدماً في اربعة ايام وهذا الرأس من اللحم والصخور الذائبة وقد اجتمعت وتماسكت فصارت جسماً صلباً قبل خروجها من حلق البركان. وشكله مخروطي كما ترى في الصورة فيه ميل قليل نحو المدينة وجوانبه محززة من فعل الصخور التي في حلق البركان. وعلى هذا الاسلوب تكوّن كثير من جبال الارض

مشاعر المتوحشين

يوذ المرء ان يعلم هل شعور المتوحشين مثل شعور المتدينين او هل كان الناس وهم على الفطرة يشعرون بالمحسوسات كما يشعرون الآن فكانوا يشعرون كما نشم ويدوقون كما نذوق ويسمعون كما نسمع ويتألمون كما نتألم . فان المشاهد ان الزنوج لا يشعرون بالالم كما يشعر البيض وقد طالما رأينا الواحد منهم يمسك النار يده ويحمل صحيفة الطعام الساخن على كفيه ويدور بها على الآكلين وما منهم من يستطيع ان يمسها لمساً . وتواترت الروايات ان البدو والبرابرة يرون الى ابعد مما نرى وان الاقدمين لم يكونوا يميزون كل الالوان التي نميزها بدليل ان ليس في لغاتهم اسماء خاصة بها او انهم كانوا يخلطون بين لون ولون آخر فلا يفرقون بينهما بدليل وضع اسم واحد لهما كليهما كوصف العرب السماء بانها خضراء وهي زرقاء والخليل بانها زرقاء وهي رمادية . وهذا الرأي الاخير رأي الوزير غلادستون بناءً على ما وجدته في اشعار هوميروس من الخلط في الوان الاشياء

وقد مضى احد العلماء الآن الى جزيرة مري احدى جزائر مضيق ترس وهي جزيرة منفردة بعيدة عن اسباب الحضارة لم يدخلها احد من الاوربيين الا نفر قليل من المبشرين . واهاليها قلال يبلغ عددهم ٤٥٠ نفساً فيمكن ان تتحن مشاعر كل منهم فيكون الاستقراء فيهم كاملاً . فانتحن حدة بصرهم ورؤيتهم للالوان والمسافات ومقدار شعورهم بالمحسوسات والمدة اللازمة لوصول الاثر الى مراكز الحس في الدماغ وشعور النفس به الى غير ذلك من المباحث التي يهتم بها العلماء الآن وألف كتاباً مسهباً في هذا الموضوع بناءً على تجاربه

اماً من جهة حدة البصر فاستعمل لامتحانها الطريقة العادية وهي وضع الحرف E على ابعاد متباينة واوضاع مختلفة لتحديد المسافة التي يرونها فيها واضحاً بالنسبة الى حرف آخر مثله

بكونه بأيديهم فظهر من الامتحان ان بصرهم احدث قليلاً جداً من متوسط بصر الاوربيين .
والظاهر انه اذا حذفنا من الاوربيين كل المصابين بقصر البصر وخلل تكسير النور تصير حدة
بصرهم مثل حدة بصر هؤلاء الناس ولذلك ففي ما يروى عن حدة بصر المتوحشين مبالغة
شديدة وكذلك في ما يرى عن حدة بصر اهل البادية . ولكن لا بد من سبب لاتفاق السياح
كلهم على نسبة حدة البصر الى المتوحشين واهل البوادي وهذا السبب هو ان الذين
يسكنون البادية يعلمون ما فيها بالاختبار فاذا رأوا شيئاً بعيداً تبيّنوه حالاً ولو لم تكن صورته
واضحة في عيونهم فاذا رأوا غزالاً عن بعد شاسع علموا انه غزال ولو لم تكن صورته واضحة لان
اقل شيء منه يدلم عليه بخلاف الاوربي الغريب الذي لم يعتمد رؤية الغزالان في البراري
فانه لا يعلم انه غزال ما لم يره جلياً

فامتياز اهل البادية على اهل المدن ليس في حدة البصر بل في سرعة الاستنتاج مما اعناد
اهل البادية رؤيته . واذا اريت الاثنين صورة فيها رسوم مختلفة فابن البادية لا يدرك ما فيها
كما يدركه ابن المدن . ثم ان اهل البادية يدركون رؤية الاشياء التي تهتمهم رويتها
كالاعداء والثيران وحيوانات الصيد ولكنهم لا يدركون ما حولها من المناظر الطبيعية ولا
يلتفتون اليها فلا تنجم افكارهم الا الى القليل من المنظورات واما اهل المدن فيلتفتون الى كل
ما امامهم ولذلك يتوزع انتباههم على منظورات كثيرة فيقل ادراكهم لكل منها

اما رؤية الالوان فاجلى البحث فيها عن تأييد مذهب غلادستون وهو ان المتوحشين لا
يميزون الالوان الضعيفة التي ليس لها اسم خاص بها واما الالوان الواضحة كالاحمر والاخضر
فيرونها جلياً مع ان اربعة في المئة من اهالي اوربا لا يرونها لانهم مصابون بما يسمى بالعمى اللوني .
واسماء الالوان عند هؤلاء المتوحشين مشتقة من اسماء بعض الاشياء فالاحمر مشتق من اسم الدم
والاخضر من اسم مرارة السحفاة . ولم يشتقوا من اسماء الازهار الا اسماً واحداً على كثرتها في
بلادهم وكثرة الوانها وهم يطلقون الازرق على الاخضر المزرق والاشهب والرمادي كما يطلق
في العربية على الرمادي وليس عندهم اسم للاسمر . فادراكهم للالوان مثل ادراك اليونان في
عصر هوميروس . ووضح الالوان عندهم الاحمر ويتلوه الاصفر واما الازرق فلا ينجلي لهم الا
اذا كانت زرقته شديدة وسبب ذلك كثرة المادة الصفراء في عيونهم

اما المدى الذي يدركون فيه المرئيات فلا يزيد على المدى الذي يدرك فيه الاوربيون
المرئيات الا قليلاً وهم يدركونها بالاستنتاج كما تقدم لا بأن صورها تكون اوضح في عيونهم منها
في عيون الاوربيين

وادراكهم للاصوات اضعف من ادراك الاوربيين لها . وادراكهم للروائح ليس اشد من ادراك الاوربيين لها . وليس عندهم كلمة للتعبير عن المראה مع انهم يشعرون بطعم الاشياء المرة . ولسهم ادق من لمس الاوربيين فيميزون الفرق الطفيف بين ما يروونه الى حد ٣٢ في الالف . واما الانكليز فلا يميزونه الا اذا بلغ ٣٩ في الالف . فاذا رازوا حجرتين ثقل احدهما ١٠٠٠ درهم وثقل الآخر ١٠٣٢ ادركوا ان الثاني اثقل من الاول واما الانكليزي فلا يدرك ان الثاني اثقل من الاول الا اذا بلغ ثقله ١٠٣٩ درهما . لكن شعورهم بالالم اقل جداً من شعور الاوربيين

الزرافة ذات الخمسة القرون

قلنا منذ سنتين " للزرافة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما وقد اكتشف السرهري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءهما والخمسة خاصة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط " (انظر مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١ في باب الاخبار العلمية) ولم يكدها هذا الاكتشاف يشيع في اوربا حتى اهتم علماءها بصيد هذا الحيوان لتحقيق ما قاله السرهري جنستن فذهب الماحور بول كتن الى قلب افريقية لهذه الغاية وللتفتيش عن الاكابي الحيوان الآخر الذي اكتشفه السرهري جنستن واتينا على وصفه في جزء شهر يوليو سنة ١٩٠١ . وقد عاد الماحور بول كتن بالامس منها ومراً بالقاهرة فقابلته مخبر المقطم وعلم منه انه قضى اكثر من ٢٠ شهراً في السياحة في اواسط افريقية فجاء مدينة ممباسا في يناير من السنة الماضية وركب منها سكة الحديد حتى وصل الى بلدة يقال لها كوسامو ثم سار على ظهر الحمير حتى جاء الجانب الغربي من جبل كينيا وهو ثالث جبل في العلو من جبال افريقية واخترق بعد ذلك سهول ليكنيا المقفرة حتى جاء الى بحيرة بانجو وكان غرضه من سفرته هذه ان يصطاد الزرافة ذات الخمسة القرون فالتقى في طريقه باسراب وآجال كثيرة من الفيلة والزرافة وحمار الوحش والنعام واياكل افريقية ووعولها واسودها وظفر بالزرافة ذات الخمسة القرون بعد ما قاسى كثيراً من الجوع والعطش والتعب . وكانت قطعان الوحوش تكثر في بعض الاماكن حتى تغطي الارض ولما اتى الجهات الجنوبية من بلاد توبوسا كان يرى الافيال حوله من كل جهة حتى لم يعد يعلم كيف يبعد عن طريقها . واوشك الدقيق ان ينفد منه فقصده بلاد قبيلة الدورنجة فوجد اراضيها مزروعة وعيون الماء

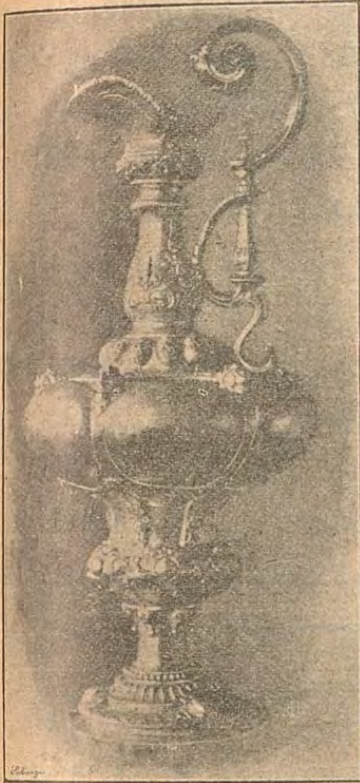
عندها نزاره غزيرة بخلاف سائر الاراضي القاحلة التي مرّ فيها واهلها من احسن القبائل في
اعتدال قوامهم وحسن بنيتهم وطول قاماتهم فانهم اطول قامه من سائر القبائل التي التقى بها
ولكنهم كلهم عراة الابدان من رجال ونساء يعقصون شعورهم في اعالي رؤوسهم وينزلونها على
جباههم واذانهم ويضعون عليها اقراصاً مستديرة من الصدف فتسطع في نور الشمس كأنها خوذ
من النولاذ تلعب على رؤوسهم . ويشدون شعر الزرافة على ساعدهم الايسر ويحملون الحراب
والروس بايديهم . فهوؤلاء قابله بالشر والعدوان هو ومن معه ولكنه لاظفهم وطيب خاطرهم
ثم اخذوا منه بعض حميره المحملة وحاصروه ثلاثة ايام وقتلوا اثنين من رجاله وجرحوا آخرين
فقاتلهم حتى نجا منهم بعد ما اتحن فيهم قتلاً وجرحاً ومرت بعد ذلك ببلاد قبائل اخرى فكان
اكثرها يسالمه حتى وصل الى محطة نيموله على النيل وهي آخر نقطة عسكرية على حدود اوغنده .
وسار منها الى وادلاي وجاء الخرطوم ومنها الى هذه العاصمة . اما ما كتبه ورسمه عما رآه في
سفراته وما جمعه من جلود الوحوش ومن الاسلحة ونحوها فلا يزال كله على الساحل في
شرق افريقية وبينها ما اصطاده من الزرافة ذات الخمسة القرون
واشد الامراض التي التقى بها في سفره مرض النوم وهو يرى انه لا بد ان ينتشر بالمواسلة
حتى يبلغ هذا القطر يوماً ومرض الماء الاسود واعراضه تشبه اعراض اليرقان فيصير وجه المصاب
به اصفر كالذهب ولعله من امراض الكبد التي لا تزال مجهولة

الكاس الاميركية وسباق الخوت

اهتمت الشركات التلغرافية والجرائد اليومية بخبر السباق بين اليخت الانكليزي شمروك
الثالث واليخت الاميركي ريلينس كما تهتم بحرب كبيرة قائمة بين دولتين عظيمتين لا لان لهذا
السباق شأنًا في سياسة بريطانيا والولايات المتحدة او في نسبة احدها الى الاخرى من حيث
الهمة والمقدرة لان امتياز اليخت الواحد على الآخر متوقف على مهارة الذين صنعوها فاذا كان
عند اليونان وهي اصغر دولة بحرية رجل ماهر في عمل اليخوت فقد يصنع يخنًا يسبق اليخت
الانكليزي واليخت الاميركي ايضاً . الا ان اهالي اوربا واميركا اكتفوا من الحاجيات وهم يتبارون
الآن في هذه الكماليات وجرائدهم جارية معهم في هذا المضمار ولا جناح على من يقف وقفة
”المتفرج“ مثلنا اذا علم حقيقة ما يتبارون فيه ولذلك كتبنا هذه السطور في تاريخ هذا السباق
منذ اثنتين وخمسين سنة كتب مدير جمعية اليخوت الانكليزية الى مدير جمعية اليخوت

الاميركية يقول بلغنا انكم صنعتُم يَخْنًا جديدًا سَمِيحًا 'اميركا' ظهر انه يسير بسرعة فائقة وانتم عازمون ان تاتوا به الى هنا ليشارك معنا في سباق الخيوت فاذا اتيتم به فانتم ضيوف علينا نحلون على الرحب والسعة

ثم التأمت جمعية الخيوت الانكليزية واجمع اعضاؤها على عمل كاس او ابريق من الفضة تنفق على عمله ١٠٠ جنيهه وتعطيه جائزة للخيوت الذي يسبق سائر الخيوت في السير حول جزيرة ويط ببلاد الانكليز ويكون السباق لاجل هذه الكاس مباحًا لكل الامم . وقد رسمت هذه الكاس في الشكل المقابل



فاتي الخيوت الاميركي الى بلاد الانكليز وسابق الخيوت الانكليزية في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥١ فوقف وراءها اولاً ثم جرى معها فخارها ثم سبقها كلها ووصل الى الغرض قبلها بثلاث ساعة . فاخذ الاميركيون الكاس وعادوا بها الى بلادهم واهدوها الى جمعية الخيوت في نيويورك وجعلوها جائزة لمسابقة اصحاب الخيوت من كل الامم وارسلوا يدعون جمعيات السباق في اوربا لمسابقتهم سنة بعد سنة فلبى الانكليز دعوتهم اثني عشرة مرة آخرها هذه النوبة

ش ١ الكاس الاميركية

بالخيوت شمروك الثالث الذي صنعه السر توماس لبتون لهذه الغاية كما صنع يخنين قبله لاسترداد الكاس فلم يفلح ويقال ان هذا الخيوت اسرع يخن صنع في اوربا حتى الان وهو المرسوم في الشكل الثاني على الصفحة التالية

وسابقة الاميركيون ليخن اسمه ريكينس (اي الثقة او الاعتماد) ويقال ان صانعه امهر رجل في بناء الخيوت في المسكونة كلها وهو المرسوم في الشكل الثالث

وقد انفق السر توماس لبتون ٤٣ الف جنيهه سنة ١٨٩٩ على هذا السباق و ٥٠ الف جنيهه سنة ١٩٠١ وانفق اكثر من ذلك هذه السنة فلم يعد بطائل . وينفق الاميركيون نحو

هذا المبلغ في كل سباق للاحتفاظ بكاس. فضة تساوي مئة جنيه ولكن ليس الغرض الكاس بل الفخار من حفظها في بلادهم وسبق كل من جازهم في هذا المضمار. ولعل لهم ربحاً مالياً من وراء ذلك وهو ان طالبي الخيول يصيرون يفضلون الاميركية على غيرها. اما الشركات التلغرافية والجرائد اليومية فغاية ما يتمناه ان تجد موضوعاً يهم الناس ولو قليلاً حتى تزيد اهتمامهم به بكل واسطة ممكنة ترويجياً لبضاعتها وهي تنفق الفاً حتى تبيع الفاً ومئة. واهل السعة يشاركونها في البذل ولو لم يمنحوا من ذلك غير التسلية. والجمهور من الانكليز والاميركان يحسب ان احراز هذه الكاس دليل غلبة الامة التي تحرزها في بناء السفن وسلك



ش ٢ شمروك الثالث

الحار فيراقبون المتسابقين بقلوب خافقة وعيون شاخصة ويتراهنون بالاموال الطائلة. ويبلغ الرهان بين الناس مبلغاً عظيماً جداً حتى يصير ضرباً من القمار يغتني به البعض ويفتقر البعض. وهو من معائب كل سباق يقوم به الاوربيون والاميركيون حتى ضاعت مزية المسابقة لكثرة ما يصاحبها من المراهنة

وكان المتسابقون يتناظرون اولاً بشيء من الغيرة والمضاغنة اما الآن فصاروا يحسبون السباق ملهى من الملاهي حتى ود كثير من الاميركيين ان يكون الفوز للينيت الانكليزي جزاء لغيرة صاحبه وعلو همته. ثم لما ثبت الفوز لهم عليه بعد المسابقة الثالثة قابله رئيسهم مقابلة الصديق الكريم

وشكل الريلينس شبيه بشكل شمروك الثالث من كل وجه ولكنهما يختلفان اختلافاً طفيفاً في الامور التالية

طول الريلينس ١٤٥ قدماً وعرضه ٢٧ قدماً وعمقه الى اسفل قاعه ١٩ قدماً و٤ عقد وطول ما يغوص منه في الماء ٨٩ قدماً و ٨ عقد ومساحة شراعه اذا انبسط ١٦١٦٩ قدماً مربعة

وطول شمروك الثالث ١٣٨ قدماً وعرضه ٢٦ قدماً وعمقه ٢٠ قدماً و ٦ عقد وطول ما يغوص منه في الماء ٨٩ قدماً و ١٠ عقد ومساحة شراعه اذا انبسط ١٤٣٣٧ قدماً مربعة



ش ٣ الريلينس

وهذا الاختلاف الطفيف مع شيء من الاختلاف في شكل الخنيزن والمواد التي بنياها والدهان الذي دُهن به كفي لجعل السبق للينت الاميركي. ورجع السر توماس نبتون من هذا المضمار وقد آلى على نفسه ان لا يعود الى السباق مرة أخرى. لكن بعد عن الظن ان الانكيز يتركون الفوز لغيرهم ويحجمون عنه احجام العاجز ولا بد لهم من ان يزيدوا همّة وابدوا كل مرتخص وغالٍ لارجاع هذه الكاس الى بلادهم. وبالحكم نتفاضل الامم

الواحات المصرية

الداخلة والخارجة

الواحة واصلاً بالمصرية القديمة "أوت" أرض زراعية مسكونة في وسط الصحراء. والواحات كثير في صحراء افريقية الكبيرة كواحة سيوى والواحة البحرية والواحين الداخلة والخارجة. الأولى منها في الجهة الشمالية على ثمانية أيام الى ١٥ يوماً من القطر المصري حسب الطريق التي يختارها الذهاب. واقصر الطرق الذهاب بجرّاً الى مرسى مطروح ثم السير في الصحراء نحو ٥ أيام. وبقية الواحات تابعة لمديريات الوجه القبلي وكلامنا الآن محصور في الواحين الداخلة والخارجة وهما تابعتان لمديرية اسيوط الخارجة تبعد مسيرة ٤ او ٥ أيام من اسنا والداخلة تبعد عن الخارجة مسيرة يوم غرباً

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات القديمة يدل على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل. قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بينم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفى للجرمين فقد جاء في هذه الكتابة ان بينم ممح لبقية حزب رعسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر لكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (سنة ١٦٠٠ ق م) على الاقل. وارسل اليها رعسيس الثاني حامية في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبعد ذلك بنحو قرن ابتداء سكنها يزرعون الكروم وكانت خمرها فاخرة جداً. وفي ايام الملك منفتاح الذي خلف رعسيس هجم اهالي ليبيا على مصر من طريق الواحات

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامه عن التجربة التي ارسلها كميسس ملك الفرس الى واحة سيوى وهلك منها خمسون الفا فقال "ان عساكر كميسس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوبين" وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدل منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لمقاطعة طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافي العرب كاليعقوبي والمقريزي وغيرهم ويستدل من كلامهم عنها انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف. واول من زار الواحة

الخارجة من المتأخرين بولسه سنة ١٦٩٠ و برون سنة ١٧٩٣ و بروكش سنة ١٨٧٤ و شويفرت وغيرهم. وزارها حديثاً كثيرون من موظفي الحكومة المصرية وبعض موظفي مصلحة المساحة الجيولوجية فنشروا عنها التقارير الضافية خصوصاً فيما يتعلق بالوجهة العلمية كإقليمها وطبقات أرضها وظواهرها الجوية وحيواناتها ونباتاتها

وفي ما نشره عنها أمور كثيرة لا تجلو من لذة وفائدة خصوصاً وإن هذه الواحات تابعة لمصر ولا يعرف المصريون عنها إلا اسمها مع أنها ذات خيرات وفيرة ومعادن كثيرة . فالواحة الخارجة تبعد نحو ١٨٠ كيلومتراً عن أسنا إلى جهة الغرب طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٥٠ كيلومتراً وعرضها من الشرق إلى الغرب نحو ٤٠ كيلومتراً . والطريق إليها من وادي النيل واسعة مطروقة فيها كثير من عظام الحيوانات التي هلكت فيها وعلى جانبيها تلال صغيرة يستدل بها المسافرون على المسافة التي قطعوها . والصحراء بين مصر والواحات صخرية قاحلة وليس فيها ماء مطلقاً ولا ينبت فيها نبت يذكر

والواحات نفسها منخفضة من الأرض وسطحها غير مستوٍ أو هو صخري قاحل إلا حيث توجد المياه . وخصب هذه الأراضي ناتج من المياه التي في طبقاتها السفلى فحيثما وجدت منذاً طبيعياً أو حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط الذي عليها إلى وجه الأرض . وصناعة حفر هذه الآبار في الواحاتين الخارجة والداخلية قديمة جداً منذ أيام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد إلا في هذا القرن والفضل في ذلك لرجل فرنسي اسمه إيمه رأى الإهالي يجيئون حفر الآبار الارتوازية فإذا طويت إحدى آبارهم القديمة لم يمكنهم أن يحفروا غيرها فاستحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها إلى الواحات . وأقام أولاً في الواحة الخارجة وأسس معملًا للنيلة ولا استخراج الشب والشب كثير في تلك النواحي . وفي السنة التالية أخذ معه آلة الحفر وانتقل إلى الواحة الداخلية . وقد أرسل بعد ذلك إلى الواحات خمس آلات لحفر الآبار أحداها أهديت من المغفور له الخديوي السابق إلى الشيخ السنوسي

واراد سعيد باشا تجنيد العربان فعصت عليه بعض قبائل الوجه القبلي كالجوازي وغيرها ورحلوا من وادي النيل إلى الواحة الخارجة وقطعوا نخيلها ثم ساروا إلى الداخلية وفعلا كذلك . وأرسل إليهم سعيد باشا حملة عسكرية ومعها المدافع وساعدته قبيلة أولاد علي فأنكسر العربان وهرب من هرب منهم إلى طرابلس الغرب حيث بقوا حتى عفي عنهم واذن لهم في الرجوع وكان بين زعماء هذه الثورة الشيخ المصري أحد رؤساء قبيلة الجوازي فصار أهالي الواحات يدعون تلك السنة بسنة المصري إلى اليوم

ومن اسباب تأخر الواحات ابطال مسير القوافل من دارفور الى اميوط بطريق الخارجة
وفت الثورة السودانية ومن المحتمل ان التجارة على تلك الطريق كانت قد قلت كثيراً قبل
الثورة بسبب الغاء الخجاسة

وفي الخارجة قرى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف وفيها نحو ستين الف نخلة
ومثلاً بئر . وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام
والدجاج والديك الرومي ومن حيواناتها البرية الضبع والثعلب . وينبت في ارضها
القمح والشعير والارز والذرة والبرسيم والبااميا والمالوخيا والشمام والبرنقال . والكرم قليل جداً
فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمان القديم بجودة خمرها . ويكثر فيها السنط والدوم وسنطها
افضل كثيراً من سنط وادي النيل . ويصدر من حاصلاتها التمر فقط اما الباقي فيستعمل فيها
وهو اقل من الحاجة فيضطر الاهالي الى جلب باقي ما يحتاجون اليه من القطر المصري .
وبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وفي هذه الاشهر تكثر المواصلات مع
وادي النيل لكثرة تردد تجار التمر . ويصعب معرفة عدد الجمال التي تحمل التمر سنوياً منها الى
الوجه القبلي وقد قدره بعضهم بين الف وخمسمائة جمل والني جمل . واهالي الخارجة فقراء
وكثيرون منهم يأتون سنوياً الى القطر المصري للتعيش ثم يرجعون الى اوطانهم مدة موسم التمر
ومتد الواحة الداخلة من الشرق الى الغرب وهي اصغر من الخارجة واكثر سكاناً
وصادرات وسكانها سبعة عشر ألفاً وفيها نحو ١٣٠ الف نخلة وما ينيف على خمسمائة بئر .
وحاصلاتها مثل حاصلات الواحة الخارجة وفيها ايضاً الصفصاف والكرم والزيتون . وعدد
الجمال التي تنقل منها التمر سنوياً يربو على الفين ويصدر منها ايضاً البقر الى الواحة الخارجة
والى بلاد الريف رغماً عن بعد المسافة . ويصنع الخزف في بلدة القصر وكذلك عرق البلج
وفيها معصرة للزيت وانوال للحياكة . واهالي الداخلة اكثر ثروة من اهالي الخارجة ويعتمدون
في معاشهم على مواشيهم وغلات ارضهم اكثر مما يعتمدون على التمر

وهواء الواحات حار جداً في الصيف ولا سيما عند هبوب ريح السموم ومعتدل في الشتاء
تختلف حرارته من ٧٥ درجة فارنهایت في نوفمبر الى ٥٠ درجة فارنهایت في يناير . وهو جاف
جداً . وتكثر فيها الحميات في الصيف والخريف فيموت بها كثير من السكان

واكثر الآثار القديمة في الواحة الخارجة وهي هياكل مصرية بنيت مدة حكم الفرس
(٥٢٧ — ٣٣٦ ق م) وهياكل أخرى بنيت في مدة حكم اليونان والرومان (٣٣٢ ق م الى
٦٤٠ بعد المسيح) وقلاع رومانية وكنائس وقبور مسيحية وآبار ارتوازية . وعلى هذه الآثار

كتابات وصور كثيرة قرئ بعضها والبعض الآخر لم يقرأ بعد . واهم الهياكل المصرية هيكل هيبس شرع في بنائه داريوس الاول ملك الفرس وانه داريوس الثاني في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الوحيد الذي بقي من الابنية العمومية التي اقامها الفرس مدة دولتهم في مصر وطول هذا الهيكل اربعة واربعون متراً وعرضه ١٩ متراً وحوله ثلاثة ابراج لابوابه وهو مبني بالحجر الرملي . والهياكل الرومانية عديدة ومتفرقة في الواحة الخارجة واكثرها ينتهي تاريخه الى القرن الثاني والثالث بعد المسيح . وحول بعض هذه الهياكل آثار المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكان هناك مدن كثيرة غيرها دُرس وتغطت الرمال انقاضها ولم يبق منها الا قطع خرف وآثار مجاري قديمة للمياه تدل على انها كانت آهلة بالسكان وفي الواحة آثار قلاع رومانية وابراج للاستكشاف وكلها في شمالها على الطريق الموصل الى القطر المصري

ومن اهم الآثار في تلك الجهة مدافن المسيحيين القدماء على اربعة كيلومترات شمالي بلدة الخارجة وقد اعجب بجمال بنائها جميع السياح الذين زاروا الواحات ووصفوها وصفاً مدققاً . وفيها نحو مئتي مدفن بهيئة بيوت بينها شوارع منظمة ومجموعها اشبه ببلدة مهجورة منها بمدافن الاموات . وكلها مبنية بالطوب النيء ومختلفة الحجم فالكبير منها يحيط به اعمدة وقناطر والصغير مقبب وتحت القبة حفرة مربعة صغيرة يتشعب منها عدة غرف . وداخل هذه المدافن مبيض بالجير وكان اصلاً مزينا بالنقوش ثم محيت وابدلت بكتابات عربية . وقد سلم احد هذه المدافن من الايدي المخربة فيرى فيه الناظر صوراً متقنة حوالي القبة وتحتها اسماء باليونانية منها صورة آدم وحواء وابراهيم واسحق وسارة ودانيال والاسود ونوح في السفينة وصور كثير من القديسين . وقد جاء في التاريخ ان الاسقف نستور يوس نفي الى الواحات في القرن الخامس للميلاد فلا يبعد ان هذه الجبانة كانت مدفناً لاتباعه . ويستدل من اثواب المومياة التي شوهدت مختلطة بالعظام حوالي هذه الجبانة ان عادة تحنيط الموتى بقيت مدة طويلة بعد التاريخ المسيحي

غير ان اهم آثار الواحات التي يستفاد منها الى الآن ابار الارتوازية القديمة التي يدعوها الاهالي "العيون الرومانية" فان كثيراً منها محفور في مرتفعات من الارض حتى يسهل جريان المياه منها الى الاراضي الواطية . وطرق رفع المياه تكاد تكون مجهولة تماماً في تلك الاصقاع خصوصاً في الواحة الخارجة ولم يشاهد السياح سوى ساقيتين او ثلاث وبعض الشوايد في الواحة الداخلة

واهلالي الواحات كسالى على الغالب يكرهون العمل وخصوصاً ما لم يألوه من الصغر وهذا سبب فقرهم . فاذا ردمت بئر قديمة طلبوا من الحكومة ان تحفر لهم بئراً اخرى مع ان تطهير البئر الاولى قد يكون اسهل واقل نفقة من حفر بئر جديدة . ولو اعنني الاهالي بحفظ الآبار القديمة سالمة من الردم وباستخدام الوسائل لرفع المياه (وهي احياناً على عمق قليل جداً تحت سطح الارض) لزادت اراضيهم الزراعية وتحسنت احوالهم كثيراً .

والآلات حفر الآبار التي في الواحات بسيطة جداً اشبه بالآلات المستعملة الآن في القطر المصري ويستعملون عوضاً عن الانابيب الحديدية انابيب من خشب السنط متقنة الصنع جداً لا تنفذ المياه جدرانها . ويظهر ان صناعة هذه الانابيب قديمة جداً في الواحات فان الانابيب التي في العيون الرومانية لا تزال في حال صالحة كما لو كانت قد صنعت حديثاً . وفي الواحات من المعادن النضفات وهو في الداخلة ولولا بعد المسافة لتمكن نقله بسهولة الى وادي النيل والانتفاع به في تسميد الاراضي . وفيها ايضاً الشب والحمة والملح وقليل من الكوبلت والنكل ولكن الراجح ان هذه المعادن كلها موجودة بكميات قليلة لا تفي بنفقة استخراجها وقد بحث جيولوجيو مصلحة المساحة في مصر عن اصل الواحات وكيفية تكونها فذهبوا الى ان طبقات الارض تغير ترتيبها هناك في احد العصور الخالية لسبب طبيعي فانكشف كثير من الطبقات اللينة وتعرضت للرياح ففتتها وحملت ترابها وبذلك انخفضت الارض . ولا تزال الرياح في تلك الانحاء تفعل هذا الفعل الى الآن والواحات تزيد اتساعاً

نسيم برباري

منزلة الشعر من التاريخ

❖ ٣٣ ❖ الحصون والآطام

كان العرب يستخدمون في البناء الشيد والاجر والقرميد قال النابغة الذبياني
او دمية من مرمر مرفوعة بُنيت بآجرٍ تُشاد وقرميدٍ
وقد شادوا الحصون المنيعه والآطام الراسخة كالخورنق والسدير وقصر غمدان واحنفروا
الآبار وكل ذلك قد جاء في شعرهم قال السموأل المشهور
بني لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت
بشير بقوله هذا الى الابق الفرد الذي دعاه لمتعته جبلاً حيث قال

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامه ويطول
وقد ذكر الاعشى ميمون باني هذا الحصن فقال

بناه سليمان بن داود حقبة له ازج عال وطي موثق^(١)

وظاهر هذا القول يناقض قول السموأل ان الحصن من بناء عاديا (ايه) والتوفيق
بينهما هو ان سليمان بناه وعاديا رثمه فدعا السموأل الترميم بناء احداثا بالكتاب الذي دعا
ترميم سليمان تدمر بناء وقال احيحة بن الجلاح اليثري

وقد اعددت للحدثان حصنا لوان المرء ينفعه العقول
طويل الرأس ايض مشمخرا يلوح كأنه سيف صقيل

وقال هذا الشاعر في خطاب عاصم بن عمرو من بني مازن بن النجار الخزرجي
نبئت انك جئت تسري بين داري والعبابة

فلقد وجدت بجانب الضحيان شيئا ذا مهابة

والضحيان الحصن الذي بناه وأشار اليه في ما سبق وقد بنى قبل الضحيان حصنا سماه
المستظل بدليل قوله

بنيت بعد مستظل ضاحيا بنيت بعصبة من ماليا

وتسمية الضحيان ضاحيا للمناسبة اللفظية. اما الآطام فنستدل عليها بقول الاعشى ميمون بن جندل
فلما ات آطام جورا واهلها انيخت فالتى رحلها بفنائكا

وقال قيس بن الخطيم الاوسي

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه وترك القنا شوركتكم في الكواعب

واما الآبار فقد ذكر احتفارها الفحل اخو بني ام الكهف من طيء قال

فان الماء ماء ابي وجدي وبشري ذو حفرت وذو طويت

وبنو طيء من العرب البدو فدل قوله على ان البدو فضلا عن الحضرة كانوا يجفرون
الآبار لقلة الماء في ديارهم

❖ ٣٤ ❖ البيوت

وكانوا يتخذون البيوت من آدم قال طرفة

(١) الازج بيني طولاً

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا اهل هذاك الطرف الممدد^(٢)
ومن شعري قال مضر بن ربيعي الاسدي
كان لنا منه يوتاً حصينة مسوحاً اعاليها وساجاً كسورها^(٣)
وقال عمرو بن قعاس المرادي

وبيت ليس من شعر ووصف على ظهر المطية قد بنيت
ومن النسيج قال طفيل بن عوف الغنوي

وبيت تهبّ الريح في حجراته بارض فضاء بابه لم يحجب
سماواته اسمال برد مفوّف وصهوته من التحمي معصّب^(٤)
واطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنّامن باديء ومعقب

❖ ٣٠ ❖ المدافن

اذا علقت ايدي المنية باحد جعلوا له نعشاً حملوه عليه الى قبره قال كعب بن زهير
كل ابن انثى وان طالّت سلامته يوماً على آله حدياء محمول
وكانوا يشيدون على قبور الموتى ابنية ونستدلّ على ذلك بقول عدي بن ربيعة المعروف
بالمهلل التغلبي حيث قال

سألتُ الحيّ أين دفنتموه فقالوا لي بسفح الحي دار
فسرتُ اليه من بلدي حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادث ناقتي عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

وقال ليبد بن ربيعة العامري

وهل هو الا ما ابنتي في حياته اذا قذفوا فوق الصريح الجنادلا
ولا يخالّنّ القارئ انهم كانوا يقيمون الحجارة رجّة تقذف على القبر قذفاً كما يلوح من
قول ليبد . بل انهم كانوا يشيدون المدافن كما تشيّد في هذا الزمان وقول ليبد من باب تحقير
الشيء والتزهيد . ودليلنا على ما ادعيناه قول مسكين الدارمي

(٢) غبراء الارض وبنو غبراء النقر . والطراف البيت من ادم واهل الطراف الممدد الاغنياء

(٣) المسوح جمع مسح وهو الثوب من الشعر او البلاس . والساج الطيلسان الاخضر او الاسود . والكسور جمع كسرو وهو الشقة السفلى من الخباء

(٤) برد مفوّف اي رقيق او فيه خطوط بيض على الطول واسمال خلق اي بال . فقدم الصفة على الموصوف وجعلها مضافاً ككبير امر

ونابغة الجعدي بالرمْل بيتهُ عليه صفيح من رخام مرصع^(٥)
وقال البرج بن مسهر الطائي

نطوف ما نطوف ثم ياوي ذوو الاموال منا والعديمُ
الى حفر اسافلهمْ جوف واعلاهمْ صفاح مقيم^(٦)

كانوا يطوفون القبر بالريحان والازاهير ذات الرائحة الذكية ويستمتطون عليه الغيث قال
النابغة الذبياني

سقى الغيثُ قبراً بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطر ووايلُ
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاهُ ديمة ثم هاطلُ
وينبت حوذانا وعرقاً منوراً سابعهُ من خير ما قال قائلُ
وكانوا ايضاً ينضحون قبر العزيز عندهم بالخمّر قال حاتم

اماويّ اما مث فاسعي بنطفة من الخمر رياً فانضح بها قبري
وقال نصر بن غالب

اصب على قبري كما من مدامة فالأ تذوقها تروق ثراكما
وكانوا ايضاً يعقرون على القبور الخليل قال الفرزدق في رثاء بشر بن مروان
غضبت ولم املك لبشر بصارم على فرس بين الجنازة والقبر
وقال حنص بن احنف الكناني

لا يبعدن ربيعة بن مكدّم وسقى الغواذي قبره بذنوب^(٧)
نقرت قلوب من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب
لا تنضري يا ناق منه فانه شراب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعده من مهمه لتركتهما تحبو على العرقوب^(٨)

وقال زياد بن الاعجم يرثي المغيرة بن المهلب
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساج

(٥) الصنم وجه كل شيء عربيض . والمرصع المخلط (٦) الصفاح تجارة عربية رفيقة

(٧) الذنوب الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء

(٨) المهمة المفازة . وتحبو من الحبو وهو ضرب من الدبيب . والعرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة
في يدها . وقوله تحبو على العرقوب كناية عن الذبح لان العرب كانوا يضربون ساق الناقة قبل ذبحها
قال ابو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدمو زاداً فانك عافر

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذبايح^(٩)
 وكانت نساؤهم يخمشن وجوههن ويخلقن شعورهن اسفاً على الميت قالت الخنساء
 لما استبانن ان صاحبها ثوى حلقت وعلت رأسها بسقاب^(١٠)
 وربما علقن في رقابهن نعال ازواجهن او انسبائهن قالت الخنساء
 هريق من دموعك واستفيقي وصبراً ان اطلقت ولن تطيقي
 بعاقبة فان الصبر خير من النعلين والرأس الحليق
 وكانوا يؤمنون الموتى بتعديد مناقبهم كما جاء عن عبد المطلب انه حينما ايقن بدنو الاجل
 استدعى اليه بناته واستنشدتهن ما عزم على تأيينه به فانشدت كل واحدة مرثاة من جيد
 الشعر والقصة مشهورة والمرثي مثبتة في ديوان شواعر العرب
 ولم يكن تأيين الاموات خاصاً بالنساء فكان الرجال يقفون على الجنازة فينشدون الشعر
 رثاء للميت كما روي انه لما وضع وكيع بن ابي مسور المقراني على نعشه جاء الفرزدق والناس
 فبم حول الجثة فانشد قصيدة مطلعها
 ليك وكيعاً خيل حرب مغيرة تساقى المنايا بالدينية السمر
 الي ان يقول
 فلو ان ميتاً لا يموت لعزة على قومه مامات صاحب ذا القبر
 أصيبت به عمرو وسعد ومالك وضبة عموا بالعظيم من الامر
 واما مدة الحداد فهي حول قال لبيد العامري
 تمتى ابتتاي ان يعيش ابوها وهل انا الا من ربيعة او مضر
 فقوما فقولا بالذية تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
 وقولا هو المرء الذي لاصديقه اضاع ولا خان الخليل ولا غدر
 الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولاً كاملاً فقد اعذر
 امين ظاهر خير الله

(٩) نضح القبر بالدم رشه وبله

(١٠) السقاب قطنة كانت المصابة تحمرها بدمها وتضعها على رأسها وتخرج طرفها من قناعها ليعلم انها مصابة

الامير فخر الدين المعني

[المقتطف الامير فخر الدين المعني اشهر من تولّى جبل لبنان والبلاد المجاورة له. وقد وقفنا في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين عند الكلام على ذهابه الى ايطاليا ورجوعه منها الى لبنان للاطلاع على شؤونه ثم عودته الى ايطاليا. والظاهر انه لم يقم فيها طويلاً حتى طلب العودة الى لبنان وهاك ما قاله المؤرخ في هذا الصدد]

لما اراد الامير فخر الدين ان يرجع الى بلاده سعى فاجتمع بدوك توسكانا فقال له الدوك في فاتحة كلامه — ما وراءك من اخبار الشرق

الامير — وردني كتاب من امي تطلب اليّ به ان ارجع لتراني قبل موتها
الدوك — وهل انت راغب في الذهاب

الامير — انك ابن وتستطيع ان تدرك عواطفني ولا اكتمك اني لا يسرني الا ذهابي اليها
الدوك — اذا نحن لا نقف في سبيلك

فلما نال الامير هذه الاجازة تهيأ للرجوع وذهب الى ليغورن واستأجر مركباً وارسل اليه عائلته وفيما هو لاحق بهم عارضه جلاوزة الميناء وسأله الجواز واذا لم يكن بيده قالوا له ان يستحصله من الدوك فرجع الى فلورنسا واذا بالدوك يمانع في سفره محتجاً بان اقامته في ايطاليا اكسبته معرفة شؤونها بحيث يكون آلة ضارة لتلك البلاد يستخدمها السلطان اذا شاء غزوها فلما اجتمع الامير بالدوك دارت بينهم المحاوراة الآتية

— الى اين انت ذاهب

— الى صيداء

— من يتولّى حكومة لبنان

— ابني

— كم عمره

— خمس وعشرون سنة

— اما تخاف بأساً من ابنك وانسابك ومواطنيك

— لم اتركهم في جملة اعدائي

— فان كنت لا تحشاهم فهلاً تخشى السلطان

— اني لا ارغب الا في الطعام والكساء وان ارى امي واهلي فان لم يرجعوا بي فالجبال

فسيحة امامي فان لم تسعني الجبال فالدنيا رحيمة في وجهي وكيف كان الامر اكون بذهابي قدفت بالواجب علي من البر بوالدي . وبعد ان ساد السكوت برهة قال الدوك

— اشور عليك ان تذهب الى القسطنطينة

— لو كنت راغباً في الذهاب اليها ما اتيت الى هنا

وانما اراد الدوك ان يمتحن الامير بهذه النصيحة ليستوثق منه بعدم اعانة العثمانيين عليه وبعد مضي بضعة ايام اجاز الدوك سفر الامير فرحل وهو لا يكاد يصدق بالنجاة واخذ في السفينة برميلاً من البارود حتى اذا مانعوه بعد سفره يحرقة فيهلك به مع عائلته

ومن الغريب ما رواه اخبار الاعيان من انه بينما كان الامير في نابولي وقد ذهب اليها في حجة والى مسينا ورد اليه كتاب والدته تخبره فيه بعزل الحافظ واخلاء سبيلها وانها مرسلة اليه كتاب الامان ولذلك فهي تسأله الرجوع الى وطنه. كان هذا الكتاب الذي ارسل اليه سنة ١٦١٤ قضى في طريقه ثلاث سنوات. نعم ان الوفد لم يجدوا الامير عند وصولهم الى ليكرن ولكنه احاط علماً بفحوى الرسالة وسائر احوال بلاده حين زارها سنة ١٦١٥ فلا يصح اذا ان يحسب مؤدى الرسالة سبباً في رجوعه وانما الأرجح انه علم بما نال ابنه من الحظوى لدى الدولة العلية فامن جانبها لاسيما بعد اذ انعمت عليه بالعفو والامان فسأل الدوك الاجازة بالسفر فتلکاً حيناً باعطاء الجواز ثم انعم به واحسن وداع الامير فبلغ عكا سنة ١٦١٧ بعد ان غاب عن بلاده خمس سنين وایاماً على ما رواه العلامة الدويهي وصاحب اخبار الاعيان بخلاف ما قال قولناي ولا مارتين فانهما ذكرا غيابه تسع سنوات

فلما وطئت قدماه ارض سورية وفد القوم للقياء من كل ناحية يحملون الهدايا والتحف ويؤكدون الحب والولاء واغرب ما كان ذلك من الامراء احمد بن يونس الحرفوش واحمد طرباي وحسن بن يوسف باشا سيفا واحمد الشهابي لان هؤلاء كانوا قد ناصبوه العداء ايام الشدة فالوا اليه حين رآوه عاد الى عزته فتناسى فعالهم وارضى من جميعهم وقيل هداياهم الا الجوادين الذين قدمها حسن سيفا قائلاً له انهما لا ينسيانه حريق داره في دير القمر. ثم استكتب الامير علي الشهابي رسالة ليوسف باشا سيفا يطالبه بها بالاثنتين وعشرين الف غرش التي اقترضها جماعته من جماعة الامير في اسلامبول فاجاب الباشا ان هذا القرض لقاء ما ضبطه الامير من غلال املاكنا في بيروت وكسروان وانطلياس

وجرى نجر الدين بعد رجوعه الى الامارة مجرى الطائعين للدولة الناهضين باوامرها فانه لما جاء المحصل يطلب بقية مال عليه ذهب الى عكا وشدد على القوم في التحصيل حتى اوفى

الحصل وصرفه مكرماً ومحملاً تقديماً للصدر الاعظم . والمستفاد من الرواية ايضاً ان عكاء كانت في ولاية المعينين

ومما ذكر العلامة الدويهي ان في سنة ١٦١٨ قدم طرابلس عمر باشا لبتنجي فضبط المدينة واما بلدانها فكانت تحت ولاية ابن سيفاً ولم يعوضه عنها شيئاً . وورد في اخبار الاعيان ان الامير كتب الى عمر باشا والي طرابلس يشكو من اعمال يوسف باشا فاجابه اذا شئت ان تحاربهُ فانا اكون مساعداً لك وضمن لك ان لا يكون ذلك مغضباً للدولة

وكلتا الروايتين لا تشفي غليلاً الا ان جوانين وقان كافر صاحبي تاريخ تركيا يقولان ان القلاقل التي حدثت في السلطنة السنية عقيب خلع السلطان عثمان الثاني الفت حبل الامور على الغارب ومهدت لعسكر الانكجارية سبل الاعنداء والجور حتى على ولاية الامر فاغتم بعض الولاة الفرصة السانحة ومرقوا من الطاعة يحسبون السلطنة تعجز بشؤونها عن كبح جماحهم واشهر هؤلاء الخونة اباضه باشا والي ارض روم ويوسف باشا سيفاً والي طرابلس وبدأ يوسف باشا بان طرد الانكجارية الذين في المدينة معلناً انه انما فعل ذلك اتماماً للسلطان غير انه لم يمض عليه الزمن الطويل حتى قدم عمر باشا الكتمنجي والياً على طرابلس

الا ان تاريخ هذه الحادثة ليس سنة ١٦١٨ لان مقتل السلطان عثمان كان سنة ١٦٢٢ فهي اذا ليست بالسبب الفعال للغارة المنوه عنها والله اعلم

فكان عمر باشا ضبط المدينة ولكنه لم يقوَ على كبت يوسف باشا في عكار فاستنهض الامير نحر الدين او رأى ان يحو سيئاته الماضية تجاه الدولة بان يخدمها في قمع يوسف باشا وهو عدوه اللدود فخابر عمر باشا ولما اجاز له محاربة العدو تحفّز له وزحف بين اجتماع اليه من الكماة الى نهر ابراهيم ومنها الى اميون فيبعثون حتى قبولا في عكار فازتاع يوسف باشا وفرّ ليلاً الى قلعة الحصن فغتم الامير ائقاله ثم التقى بعسكر عمر باشا وتبعه يوسف باشا واضطراه الى التسليم قيل ان شردمة من عسكر الامير التقت بجماعة كان فيهم الامير محمد حفيد يوسف باشا وعمره خمس سنوات فلما ابصر الجماعة العسكر المغربي خافوا وهربوا تاركين الغلام فحمل الى نحر الدين فبعث يطمئن امه عن سلامة ابنها وهي في سير ثم نقلها من هناك الى عكار وقصد الامير عكار فاشتغل عسكره بنهبها اما هو فركب بالف فارس الى الحصن فرأى آل سيفاً واحزابهم متأهبين للقتال فحمل عليهم وحاربهم فانهمزم الاميران محمد وسليمان صوب جبيل وجاء سائر العسكر فاحاطوا بقلعة الحصن فكتب يوسف باشا يستغيث بمصطفى باشا والي الشام ومحمد باشا والي حلب وكتب الامير نحر الدين الى ابنه الامير علي يأمره بالبقاء في غزير وان يبعث عسكره

بأمره الامير علي الشهابي ففعل. وضاق ذرع يوسف باشا فاخرج زوجته ابنة الامير تستغيث به ليكف عن بعلها فطيب قلبها ووعداها باجابة سؤلها واشترط على ذلك ان يؤديه يوسف باشا مئتي الف قرش وان يعطيه صكاً برفع الضبط عن املاك آل عساف من انطلياس الى بيروت وما روى تشرشل في تاريخ لبنان ان يوسف باشا لم يكن يعرف الامير نحر الدين شخصياً فلما اصطالحا جاء عكار مسلماً على الامير ولم يكن ابنه صهر نحر الدين حاضراً بل كانت معه كنته بنت الامير فوجدوا نحر الدين نائماً القيلولة وكان صغير الجسم هزيلاً فالتفت يوسف باشا الى كنته قائلاً أليس هذا ابوك قالت بلى قال لوشئت لوضعت في جيبى بين مفااتي فسمع نحر الدين هذا الحديث وساء الاستهزاء بصغر جسمه فنهض للحال غير مبال بيوسف باشا ولا ملتفت الى واجب التحية بل امر بالخيول فسرحت وبالرجال فتهيئوا وهو لا يصغي الى ما قدم من التوسلات والمعاذير لانه حسب ذلك المزاج هجواً فخرج من هنالك متوعداً

ولما وصلت النجدة بأمره علي الشهابي رجع نحر الدين بشرذمة الى عكار ونقل حجارة قصر آل سيف الى البحر ومنه الى بيروت فحملت منها الى دير القمر

واختلفت رواية المؤرخين عن نجدة الوزيرين والي الشام ووالي حلب ليوسف باشا فقد قال العلامة الدويهي انهما النجدة وجمعا عسكريهما وزحفا حتى حماه وكاتب الامير نحر الدين وعمر باشا بالكف عن القتال وقال صاحب اخبار الاعيان انهما لم ينجداه والذي نرى ان الروايتين صادقتان ولئن تباينت فان الوزيرين لم ينجداه باديء بدء لانه كان ناجماً على الدولة وانما لا يستبعد انهما لما علما بالعفو عنه تحجزا لنجدة وزحفا الى حماه لكف القتال وليس لمحاربة الذين كانوا يحرaban عن الدولة. يستفاد ذلك مما روى جوانين من انه لما تولى الصدرة العظمى قره حسين باشا في عهد السلطان مصطفى اقر يوسف باشا علي ولايته

يبدو انه ورد صريحاً ان يوسف باشا اعيتته الحيلة من تشديد الحصار على قلعة الحصن كأنه لم يعلم بتقرير الولاية عليه فبعث يطلب الصلح من نحر الدين فطلب الامير ثلثائة الف قرش نصفها عن قرض اسلامبول وثمان الماشية التي ضبطها الباشا مما اودعه الامير عنده حين سفره ومن حاصلات بيروت وغزير وبلادها مدى ثمانية شهور والنصف الآخر لوالي طرابلس لقاء ما ضبط يوسف باشا من اموال المقاطعات. وهنا ايضاً اختلفت رواية العلامة الدويهي عما نقلناه عن اخبار الاعيان فان ذاك يقول ان المال مئة الف وان نحر الدين اخذ صكاً بمئة الف اخرى وفي اخبار الاعيان ان المئة الف اخذها الباشا والامير زيادة عن المال الاول وبعد ذلك كتب بين الامير ويوسف باشا وثائق الصلح والمسالمه وانه لم يبق بين الفئتين

حق ولا دعوى ثم رفع الحصار ورجع كل إلى مقره اما نجر الدين فكانت قلعتها جبيل وكرجبيل قد امتنعتا عليه اثناء مسيره على يوسف باشا فتركهما حتى اذا عاد اخذهما وامر بهدم قلعة جبيل وعاد بعد هذا الظفر وقد رسخت قدمه في الامارة ورنث حصاة قدرته حتى دانت له البلاد واصبح حكماً يرجع اليه في شؤنها لانه ظهر بمظهر الطاعة للدولة العلية والعمل على خدمتها والسير على ما تريد متجنباً جهده مناوئاً الوزراء القائمين على الولايات المجاورة وهو لاء كانوا يملون قدره وكانهم قابلوه بالالتفات والقبول جزاء طاعته الظاهرة فكان اذا التجأ اليه حاكم معزول ونال منه الوعد بالمساعدة يسعى لدى غير واحد من الوزراء حتى ينيله ما اراد ولو تكلف على ذلك الاموال الطائلة جرياً على عادة تلك الايام من تقديم الهدايا للحاكم الاعلى استجلاً بالرضا الا انه يظهر ان القلوب لم تكن قد صفت او كان ولاية الشام كانوا يشعرون ان ظاهر الامير مموه بالطاعة تمويتها وانه لا يحجم عن شق العصا متى استحسن من نفسه بالقدرة ولذلك كانوا يوحسون خوفاً من تزايد سوء دده ويتمنون لو تمكنوا من خضد شوكته او كان اعداء الامير واهمهم يوسف باشا سيفاً واطولهم باعاً في مناصبه كشفوا خفيات امره لباب الدولة حتى اوعزت الى رئيس اسطولها ان يقبض عليه ويحجز به الى العاصمة فقدم قبطان باشي الى صيداء في خمسين مركباً فرحب الامير به واكرم وفادته وقدم له مالا وزاداً فطلب القبطان باشي ان يزوره الامير في سفينه فاجاب اني ان جئت السفينة وقبضت علي كان ذلك شيناً عليك وان سرحتني صرت ملوماً فارتضى الريان بهذا الجواب وبضى الى سبيله على انا لتعجب لهذا الريان لانه ان كان مأموراً بالقبض على الامير فليس من شأنه ان يقبل مثل جوابه ولديه من القوة ما لا يقوى نجر الدين على التخلص من وباله وان كان ذلك من عند نفسه لينال بصيد الاسد ارتضاء ولاية الامر فما معنى قول الامير له انك ان سرحتني تبقى ملوماً

وكان عمر باشا الكتمنجي قد ولي الامير بلاد البترون وجبيل وكسروان التابعات لطرابلس عقيب ظفرها بيوسف باشا فولى الامير من قبله رجالاً عليها ولكن لما عاد يوسف باشا الى الولاية بعث سنة ١٦١٩ ابن اخيه محمداً يطالب الامير بتسليم المقاطعات اليه لانها من ولايته فامتنع الامير من يوسف باشا وارسل مدبره الى اسلامبول واصحبه بركين يحملين صابوناً وامره ان يبيعهما ويدفع المال المرتب على طرابلس مضاعفاً على ان تقرر ولايتها على الامير فذهب المدبر واتم الامر اذ انعمت الدولة على الامير بولاية طرابلس وعلى مدبره بسنجة جبلية واللاذقية وامرت ان تهدم قلاع يوسف باشا وتضبط املاكه واملاك اصحابه ولكن ما قفل مدبر الامير راجعاً حتى زاد يوسف باشا في المال فتقررت عليه طرابلس

وكان يوسف باشا قد ولي ابن اخيه الامير سليمان بلاد صافيتا الا انه كان يكره منه تحيزه
لنجر الدين حتى اذا تأخر عن وفاء المال ارسل عليه شرذمة من رجاله ولم يكن الامير سليمان
يقوى على ممانعة عمه ففر الى جبلة وبعث يستغيث بالامير نجر الدين فنهض هذا الى البترون
ولما علم يوسف باشا بذلك امر رجاله بالاستكانة في تل عباس وبعث الامير موسي الكردي
باعتذر للامير بان مقاتلة سليمان لم تكن الا تهديدا له ليدفع المال المتأخر عليه وارسل له
خلة الولاية فارسلها نجر الدين الى سليمان فرجع بها الى صافيتا واذ قضى نجر الدين وطره رحل
الى بعلبك فخافه يونس الحرفوش واخبا منه لكن نجر الدين قصده فاجتمع به وامنه وارتحل
الى شدر في عكار فجاءه الامير سليمان سيفا وشكا له من عمه وما زال به حتى اوغر صدره
فحصر الامير سكيان يوسف باشا في داره بعمار التي كان الباشا قد جدد بناءها وظلوا على
الحصار شهرا حتى سلموا فهدم الدار وكل ما كان قد تجدد من الابنية وابقى الامير سليمان بجماعة
من رجاله في دار الامير محمد وعاد الى بيروت

وحدث في غضون هذه الوقائع ان اثناسيوس الدباس البطريرك الارثوذكسي الانطاكي
استثار الطائفة عليه فعزلوه وانتدبوا اغناطيوس مطران صيدا بطركا فسيم في القسطنطينية
ودخل دمشق بطركا سنة ١٦١٩ م فتملص اثناسيوس من ايدي الحكم وفر الى طرابلس
فما لبث ان توفي فيها ودفن في كفتين فلما علم اخوه كيرلس مطران حوران ان طرابلس
وبساعي الحاج سليمان الملكي البصري مدير يوسف باشا علم الباشا ان البطريرك اغناطيوس من
حزب نجر الدين فهو اذا من اعدائه ولذلك تحزب الباشا لكيرلس فبعث رجالا من اخصائه
وانوا بطراني حماة وحمص واسقف الحصن قسرا فامرهم يوسف باشا ان يسيروا كيرلس بطركا
فساموه في اميون . واذ لم يكن ذلك برضا الدماشقة ولا سائر ابناء الطائفة انقسمت الجماعة
فسمين احدهما على ولاء البطريرك القانوني الذي كان يعضده نجر الدين والآخر على ولاء
كيرلس بطاعة ابن سيفا وادى هذا الانقسام الى التشيع فالخصام فالحسائر الفادحة وما زال
الامر كذلك حتى قضى يوسف باشا ففر كيرلس من طرابلس الى حلب ووقعت على اثر ذلك
امور جملة حتى اضمحلت حال ارثوذكس دمشق لكثرة الخسائر والمتاعب فجاءهم كيرلس فلم
يعارضوه على ان اغناطيوس كان يخشى من دخول دمشق ان يقبض عليه ولاتها تحزبه لابن
من فارسل كيرلس يلتمس من الامير نجر الدين ان يجمع رؤساء الاساقفة كلهم فيعقدون
مجما يحضره هو واغناطيوس ويتركان لاعضاء المجمع حق اختيار البطريرك فالذي يخنارونه يكون
بطركا فاجابه الامير الى ما اراد وعين الاجتماع في قرية الراس من بلاد بعلبك فجاء جميع

الاساقفة المدعويين الاكبراس فانه ندم على التماسه فاقر المجنمون على بطركية اغناطيوس
واغناظ الامير من كيرلس فاحضره مقيداً وامر بقتله قبل الدخول عليه فقتل ولبث اغناطيوس
بطرکا مدى ايام نجر الدين وتوفي سنة الحملة عليه

وكان مسلك الامير واذعانه قد لقيا قبولا لدى الباب العالي فانعم عليه منذ محاربة يوسف
باشا بالشكر على عمله ثم زادت ثقة الدولة باخلاصه واقتراده على تنفيذ اوامرها اذ ارسل اليه
حسين باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٠ حواله على يوسف باشا بالمال السلطاني بعثها اليه مع
قبوحي باشي اسمه مصطفى اغا فنهض الامير برجاله قاصداً طرابلس وبعث يطالب الباشا
بالمال فابي الاداء ولكنه خاف البقاء حتى اذا وصل الامير الى برج الجصاص ظاهر طرابلس
فر الباشا منها تاركاً ابنه حسناً في القلعة والسكان في الابراج وكتب الى الدولة يشكو فعلة
الامير وانه لم يقصد طرابلس لتحصيل المال بل لامتلاك القلعة واسترحم رفع الحواله عنه
متعهداً باداء المال ثم بعث لولديه عمر وقاسم ان يجعما الرجال ويزحفا الى جون عكار اما
الامير فلبث في برج الجصاص عشرة ايام يرسل الامير حسن بدفع المال وهو يابى ذلك
فعرض عليه ان يبيع بالوكالة عن ابيه جميع ما اشتراه من تركه الامير محمد العساف في بيروت
وانطلياس وحارة غزير واملاكا وان يؤدي الباقي عليه خمساً وخمسين الفاً من مال جبيل
والبترون دفعت عنه في اسلامبول فابي ولكنه اخبر اياه فاجاز ذلك ووكله بالبيع فعقد المبيع
امام القاضي والمتقي والاعيان بخمسين الف غرش وارسل الحجة الى الامير نجر الدين فارسلها
الى قاضي عسكر في اسلامبول ولا نعلم سبباً لارسال الحجة الى باب الدولة اذا كان المبيع لاسم
نجر الدين كما صرح بذلك العلامة الدويهي وكذلك لسنا على بينة من شأن هذا التمن لانه
لو حُسم من مال الدولة لما ذكر المؤرخون ان بعد استلام صك المبيع الخ الامير باستيفاء مال
الدولة فالارجح اذا ان يكون التمن لقاء المال المطلوب للامير نجر الدين من يوسف باشا وقد
ذكر من قبل وبعد استيفاء مطلوبه عاد فالخ بمال الدولة فابي الباشا وابنه الوفاء ثم وقع بين
فرسان الامير وسكان الباشا حفظة الابراج قتال ادى الى مهاجمة المدينة وفتحها عنوة ومحاصرة
القلعة ومن فيها من الحامية تحت امرة ابن الباشا وبعث الامير فاستحضر مركبين فرنسيين
كانا في ميناء صيداء وعززها بالرجال وجعلهما في ميناء طرابلس ليمعا وصول الذخيرة اليها
من البحر ووقعت بعد ايام موقعة هائلة بين رجال الامير وسكان الباشا فكانت الدائرة على
هؤلاء وكان الامير قد اتخذ دار الامير حسين له منزلاً ورآه الامير موسى الكردي حين
جاء يطلب الصلح انه يجلس في الديوان فاخبر ابن الباشا فرمى الديوان بالمدافع من القلعة

ولم يكن الأمير فيه فتندم الجدار فقال الأمير يريدون ان يهدموا دارهم وانا احق منهم بهدمها
فدكها وعقيب ذلك جاءت رسل سليمان باشا والي الشام تسأل الأمير كيف الحصار عن
المدينة وفي ما هم يتذاكرون هجم عسكر الباشا الذي تجتمع في عكار على البدّاي وفيه عسكر
الامير واشتبكت الحرب فتراكض بعض الفرسان من المدينة للنجدة رفاقهم المعنيين فوجدوا عسكر
الباشا منهزماً امام رفاقهم فلحقوا بهم لكن تلك الهزيمة كانت خديعةً لانهم كانوا كامنين
للمعنيين فارتدّ هؤلاء وكادوا يولون الادبار لو لم يقدم الامير ويريع العدو فيفرّ هارباً
وبلغت رسل يوسف باشا الى الاستانة فصدر الامر العالي ان يسير قبجي باشي بخمسة
سفن مأموراً برفع الحصار عن طرابلس وتحصيل المال من الباشا وان يحمل الى الامير نقر
الدين خلعةً سنّيةً جزاء طاعته فلما وصل القبجي وبلغ الامير الامر السامي اطاع ولبس الخلعة
واكرم حاملها بعطية وافرة ولكنه حذر القبجي باشي من مطلق الباشا ونهض بعسكره الى
بيروت وارجع رسل والي الشام مكربين

جرجي بني

غرائب الشعوذة

يكثر السائلون من سوء النّا عن بعض الغرائب التي يفعلها المشعوذون ويوهمون الناظرين
انهم فعلوها بقوة تفوق القوى الطبيعية ونقضوا بها ما لوف الحوادث كقطعهم رأس انسان ثم
الصافه بعنقه واظهارهم انساناً آخر يتكلم وهو راس لا جثة له او راس وصدر لا غير ووضعهم
الناساً في كيس يربط ويختتم ويوضع في صندوق يقفل بقفل ثم يخرج من الصندوق وهو مقفل
ومن الكيس وهو مربوط ومخنوم . او ايقافهم انساناً على مائدة ثم جعله يخفي في طرفه عين
كانه لم يكن موجوداً او وضعهم اياه على كرسي وجعله يرتفع في الهواء امام الناظرين
وهم يخنارون البنات الحسان المنظر غالباً ليزيد انعطاف الحضور اليهن واشفاقهم عليهن الآ
في ما يقتضي مشقة كحروج الانسان من الكيس والصندوق المقفل فانهم يخنارون له الرجال
في الغالب

من يشاهد هذه الاعمال اول مرة يندهش اشد الاندهاش اذا لم يكن قد عرف تعليمها
قبلاً ويشق بين التسليم بقول المشعوذ ان ما يفعله انما هو خفة لا شيء فيه من السحر وبين
شهادة حواسه فان عينه ترى الراس يقطع حقيقة وينفصل عن البدن ثم يلتصق به والمرأة تقف
امام المرأة فتخفي والرجل يخرج من كيس مخنوم في صندوق مقفل ولم ينض خنّام الكيس ولا

فتج قفل الصندوق — يقف بين هذين الامرئين حائراً في امره ايصدق اعتراف المشعوذ ان كل ما يفعله من قبيل الحيلة والخفة أم يصدق ما يراه بعينه ويلسه يديه . وقد قيل اذا ظهر السبب بطل العجب فرائنا ان نشرح هذه الاعمال ونبين اسبابها بما يحتمله المقام من الاسباب (١) قطع الراس والصاقه

لا بد لاتمام هذا العمل من غرفة مظلمة ارضها وسقفها وجدرانها مغطاة بستائر من القطيفة السوداء لها باب واسع امام المشاهدين تحيط به مصابيح ساطعة النور ينعكس نورها عن مرابا وراءها حتى يقع كله على المشاهدين ولا يدخل الغرفة شي منه فيكون النور ساطعاً في المشهد



الشكل الاول

واما الغرفة فتبقى حالكة الظلام . والذين يدخلون هذه الغرفة يلبسون ثياباً بيضاء اذا اريد ان يظهروا فيها والاثياباً سوداء

والغالب ان يدخلها المشعوذ لابساً ثياباً شرقية بيضاء لان هذا النوع من الشعوذة مقتبس عن المشاركة لكنه قد يلبس ثياباً اوروبية رسمية ويشترط فيها ان تكون بيضاء كما ترى في الشكل الاول . ثم يمد يده طالباً ان يأتيه القضيب الذي يحمله المشعوذون عادة فيأتي القضيب اليه في الهواء من تلقاء نفسه فيتناوله ويضرب به ارض الغرفة عن يمينه فتخرج منها مائدة صغيرة تقف عن يمينه ثم يضرب ارض الغرفة عن يساره فتخرج منها مائدة اخرى تقف عن يساره . ويضرب المائدة الاولى بقضيبه فتخرج منها كأس صغيرة تقف عليها ويضرب

الثانية فتخرج منها كأس أخرى ثقف عليها . فيرفع المائدتين والكاسين بيديه ويدنينا من المشاهدين ويسمح لهم ان يروها ويدققوا نظرهم فيها ثم يعيدها الى اماكنها فيضع المائدتين عن يمينه ويساره ويضع الكاسين عليهما ويرفع احدى الكاسين بيده عن المائدة ويديرها في الغرفة فترتفع الكاس الاخرى من تلقاء نفسها وتدور في الغرفة كما اديرت اختها . ثم يعيد الكاس التي في يده الى المائدة اما الكاس الثانية فلا تعود الى مائدتها بل تبقى في الهواء فيسك اطاراً بيده ويديره حولها ليظهر للحضور انها ليست معلقة بخيط او سلك . ثم يمسكها



الشكل الثالث

الشكل الثاني

بيده ويقلبها مظهرًا الاستعراب من امرها ويلتفت الى المائدة ليضعها عليها فتسير المائدة اليه من نفسها الى ان ثقف امامه فيضع الكاس عليها فتعود الى مكانها وهي ترقص في سيرها طرباً ويستعير بعض الساعات والخواطم من الحضور ويضعها في الكاس التي عن يمينه فيرونها نازلة فيها ثم يرفع الكاس في يده فلا يرى فيها شيئاً فيريها للمشاهدين واذا هي فارغة ثم يعود الى الكاس التي عن يساره ويأخذها بيده الى امام الحضور فاذا ما عاتتهم وخواطمهم فيها فياخذونها منها

ويحرك قضيبه ويتم فيظهر في الغرفة برواز كبير مثل براويز الصور فيضع عليه ستارة ملونة ثم يرفعها عنه فيظهر فيه رأس امرأة وصدرها الى حد خصرها فتكلم الحضور ثم يجعل البرواز يهتز فتهتز معه كأنها صورة فيه وهي امرأة حقيقية تنبسم وتتكلم وتغمز وترمز . ويعيد الستار الى البرواز ثم يرفعه فختفي المرأة منه

يعمل هذه الاعمال وامثالها تمهيداً لقطع الرأس ثم يحرك قضيبه فتدخل الغرفة امرأة حسنة وبيدها سيف مسلول يقطر الموت من افرنده فيأخذه منها ويضرب به عنقها فيطير رأسها عن بدنها وقبل ان يصل الى الارض يستلقيه يده الاخرى ويمشي به في الغرفة الى امام الحضور وتبقى المرأة واقفة امامهم بدنًا بلا رأس ثم يرد الرأس الى محله فيصلق بعنقها كما كان . وهاك ايضاح ذلك كله

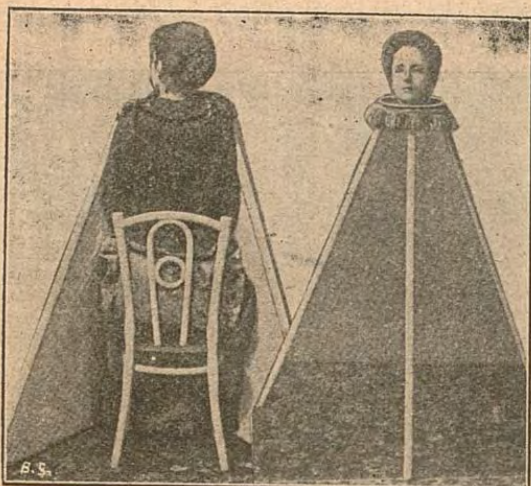


الشكل الخامس

الشكل الرابع

لا بد من ان تكون الغرفة التي تجري فيها هذه الاعمال مجللة بالسواد كلها كما تقدم والغالب ان تكون مبطنه بالقטיפه السوداء ارضها وجدرانها وسقفها وتكون المصابيح عند بابها وفي المشهد ساطعة النور حتى تنبهر عيون الناظرين ولا يعودون يرون شيئاً في الغرفة الا ما كان ابيض . وتكون المائدتان في الغرفة وعلى كلٍ منهما غطاء اسود . ويكون مع المشعوذ مساعد لابس ثياباً سوداء من القטיפه وكفوفاً سوداء ووجهه مغطى بغطاء اسود فلا يبين منه شيء مطلقاً ما دام في الغرفة معها كان قريباً من المشاهدين وهو يمشي بجواربه من غير حذاء فلا يسمع لشيء صوت فاذا مد المشعوذ يده اتاه المساعد بقضيب الشعوذة وهو من معدن ابيض فيظهر للمشاهدين كأنه اتى في الهواء من نفسه . واذا ضرب به عن يمينه رفع المساعد الستار عن المائدة اليمنى فتظهر كأنها وجدت هناك من نفسها ثم يضرب به عن يساره فتظهر المائدة اليسرى

يرفع الستار عنها . ويأتي المساعد بالكاسين وهما من معدن ابيض وباطنهما مصبوغ صبغاً
سود فلا تظهر يده وهو ممسك بهما لانه يمسك الكاس من الورا واضعاً اصابعه فيها ويأتي
بهما الى المائدة وعلى كل منهما غطاء اسود فيدني الكاس باليد الواحد ويرفع الغطاء عنها
باليد الاخرى بخفة فتظهر كأنها وُضعت على المائدة حينما طلب المشعوذ ظهورها . والمساعد هو
الذي يرفع الكاس ويديرها في الغرفة حينما يدير المشعوذ الكاس الاخرى ثم اذا جعل المشعوذ
يدير الإطار المعدني حولها ليظهر انها غير معلقة بشيء ينقلها المساعد من يد الى اخرى فيظهر
كأن الإطار مرّ حولها كلها من جهة الى أخرى



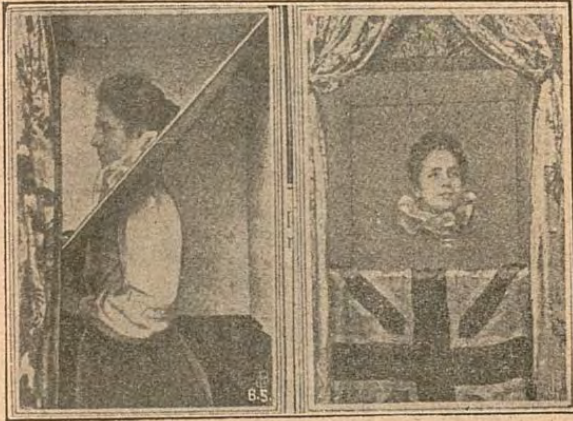
الشكل السادس

الشكل السابع

اما الساعات والخواصم فلا يضعها المشعوذ في الكاس كما يظهر للمشاهدين بل يضعها في كف
مساعد فانه يكون باسطاً كفه وراء الكاس . والمساعد يضعها في الكاس الاخرى حينما يرفع
المشعوذ الكاس الاول ويريهما للمشاهدين فارغة

والبرواز يأتي به المساعد فيظهر انه وجد في الغرفة من لا شيء ثم يعلقه بجبال سواده في
اسفلها خشبة سوداء كالارجوحة وحينما يغطي بالستار تأتي امرأة لابسة اسود من خصرها
الى قدميها وتقف في الارجوحة واسفل البرواز عند خصرها فيكون الجزء الابيض الظاهر
منها في البرواز والجزء الاسود تحته فتري كصورة فيه ومتى وُضع الستار على البرواز ثانية التي
المساعد ستاراً اسود عليها وخرجت من الغرفة
اما قطع الراس فلا بد فيه من امرأتين الواحدة لابسة ثياباً بيضاء ورأسها مكشوف

والثانية لابسة ثياباً سوداء ورأسها مغطى بغطاء اسود فتأتي المرأة الاولى والسيوف في يدها فيأخذها المشعوذ منها ويضرب به كأنه ضرب عنقه وللحال يغطي المساعد رأسها بغطاء اسود وينزع الغطاء الاسود عن رأس المرأة الثانية وتكون هذه قد ركعت على ركبتيها لكي ينخفض رأسها فلا يظهر امام المشاهدين الا المشعوذ ورأس ايض يده وامرأة واقفة من غير رأس كما ترى في الشكل الاول وقد زدنا بدن المرأة الثانية وضوحاً ثم يرفع الراس رويداً رويداً الى ان يدينه من عنق المرأة الواقفة فيرفع المساعد الغطاء عن رأسها ويلقيه على الراس الذي في يد المشعوذ فيظهر كأن الراس المقطوع عاد الى وضعه الاول. ويكرر هذا العمل مرتين او ثلاثاً حسب رغبة المشاهدين ويتعذر عليهم ان يعرفوا كيفية اذ لم يكونوا قد اطلعوا على شرح مثل هذا الشرح



الشكل الثامن

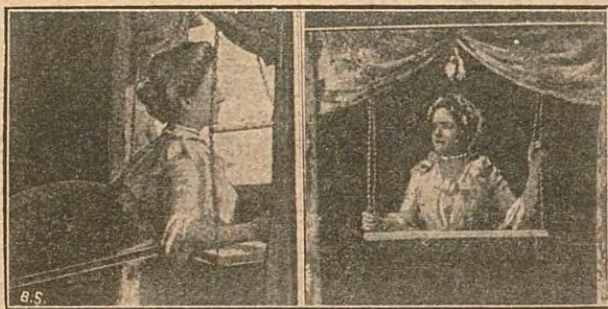
الشكل التاسع

عادة المرأة

هذه لعبة اخرى تظهر على غاية الغرابة لدى الذين لا يعلمون كيفيةها وهي ان توضع في المشهد امرأة كبيرة ارتفاعها نحو ثلاثة امتار يحيط بها برواز او ستار وامامها موقف ثقف عليه فتاة حسناء كما ترى في الشكل الثاني ويقف المشعوذ معها ويطلب منها ان تلتفت الى الحضور فتلتفت قليلاً حتى يروها ثم تعود الى المرأة وتجعل ترتب شعرها فيكرر المشعوذ الطلب منها لتلتفت الى الحضور فتلتفت لحظة ثم تعود الى المرأة فيمتظهر بالحنق ويحطف ستاراً حاجزاً ويضعه امام المرأة كما ترى في الشكل الثالث ويأخذ فرداً بيده ويطلقه عليها ثم يرفع الستار فتخفي الفتاة ولا يوقف لها على اثر. ويندهش المشاهدون من ذلك اتم الدهشة لانهم يرون جوانب المرأة كلها ولو كان الستار قائماً امامها فاين اخفت الفتاة

وتعليل ذلك ان في اسفل زجاج المرأة ثقباً كبيراً تستطيع الفتاة ان تخرج منه وهو مغطى بلوح آخر من الزجاج المفصص وآخر هذا اللوح عند حد الموقف الذي تقف عليه الفتاة. وزجاج المرأة غير متصل بالبرواز الظاهر بل يمكن رفعه وخفضه من الاعلى بحبال متصلة به فيخفي ما يرفع منه وراء الستائر والبروايز التي في اعلى المرأة فاذا وُضع الستار امامها رفع المساعدون زجاج المرأة الى الاعلى حتى يرتفع الثقب ويصير فوق الموقف الذي عليه الفتاة فتخرج منه ثم ينزل الزجاج الى وضعه الاول حتى اذا رفع الستار بانت المرأة كما كانت اولاً ولا فتاة امامها الرأس المتكلم

لهذه الظاهرة اساليب مختلفة استعملنا اسلوباً منها في خطبة عمومية في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة وذلك اننا خرقنا لوح طاولة خرقاً مستديراً يسع عنق الانسان وقطعنا اللوح من



الشكل العاشر

الشكل الحادي عشر

وسطه واجلسنا ولداً على كرسي تحته وطبقنا اللوح على عنقه بعد ان وضعنا حولها صحيفة مقوّرة فظهر كأن رأس الولد وضع في صحيفة على مائدة ولكن بدنه بقي تحت المائدة فأخني بان وضع لوح امرأة امامه بين رجلي الطاولة وأميل قليلاً فظهرت الارض فيه وبان كأنه جانب من ارض الغرفة بين ارجل الطاولة. وحضر الاجتماع بعض كبار الاستاذة فلم يدركوا كيف وضع الرأس على الطاولة ولم ينتبهوا الى المرأة التي تحتها حتى نهبتهم اليها. وذلك شبيه بما هو ظاهر في الشكين الرابع والخامس لكن الفتاة ظاهرة هنا الى وسطها كما ترى

ولذلك اسلوب آخر شبيه بهذا وهو ان يُوقف ثلاثة اعمدة من النحاس حتى يكون منها هرم مثلث وفي اعلاها قرص مقوّر يظهر فيه رأس يتكلم بلغات مختلفة كما ترى في الشكل السادس وحقيقته ان وراء المثلث كرسيّاً تجلس عليه فتاة كما في الشكل السابع وبين قوائم المثلث لوحان من زجاج المرأيا يخفيان ما وراءها ويعكسان ما امامها. واللعبتان الظاهرتان في الشكين

الثامن والعاشر امرها ظاهر من النظر الى الشكلين التاسع والحادي عشر فالفتاة التي في الشكل الثامن واقفة ولوح المرأة حول عنقها والتي في الشكل العاشر متكئة على لوح يحملها في غرفة مظلمة فلا يبين منها الا رأسها وصدرها ويدها
اما ارتفاع الانسان في الهواء وخروجه من الصندوق المقفل فسيأتي شرحهما في الجزء التالي

فلسفة النوم

كيف يحدث النوم — ليس بين الحوادث الطبيعية ما يتكرر على الانسان اكثر من النوم فانه ينام كل يوم من ايام حياته مرة على الاقل يقضي فيها بضع ساعات فاذا عاش سنين سنة وكان متوسط نومه ثمانى ساعات في اليوم فعشرون سنة من عمره يقضيها نائماً ومع ذلك لا تجد واحداً في الالف ولا واحداً في المليون ولا واحداً في مئة مليون من الناس يعلم كيف يحدث النوم او يستطيع ان يعلله تعليلاً مؤيداً بالامتحان العلمي لا لان الظنون والآراء قليلة في هذا الموضوع بل لان طريق الامتحان الموصلة الى الغرض عسيرة جداً وحتى الآن لم يجمع كبار العلماء على تعليل واحد . وخلاصة ما وصلوا اليه من هذا القبيل متضمنة في المقالة التالية واكثر حقائقها مقتطف من مقالة للدكتور برسي ستيلس نشرت في الجزء الاخير من مجلة العلم العام الاميركية

يقال بنوع عام ان الحاجة الى النوم تعقب التعب سواء كان هذا التعب عاماً للجسم كله او خاصاً ببعض اعضائه فان اندثار اجزاء الجسم يزيد وقت اليقظة والعمل على المتوسط فيضطر الجسم ان يبطل العمل مدة يقل فيها الاندثار عن المتوسط . فاذا كان متوسط ما يندثر من الجسم كله عشر دراهم في الساعة وبلغ ١٥ درهماً في الساعة من ساعات العمل الاثني عشرة وجب ان يبلغ خمس دراهم فقط في الساعة من ساعات الراحة والنوم الاثني عشرة حتى يعود المتوسط العمومي ١٠ دراهم في كل ساعة من ساعات النهار والليل
واذا توالى هذه الحال على الناس عصوراً كثيرة صار الاندثار من اجسامهم يكثر في النهار وقت اليقظة والعمل ويقل في الليل وقت النوم والراحة

واندثار اجزاء البدن بالعمل فعل كيمياوي فالتعب نتيجة كيمياوية . فاذا بدا التعب في عضلة من عضلات الجسم فهو دليل على شيء من شئئين اما ان مواد العمل التي فيها قد قلت او انه اجتمع فيها فضول سامة فتعيبها وتمنعها عن العمل كما ان موقد الآلة البخارية الذي نقل حرارته

حتى لا يعود قادراً على ادارتها يحدث ذلك فيه إما من قلة الوقود او من كثرة الرماد ولذلك في سبب التعب الذي يدعو الى النوم والراحة مذهبان مذهب القلة ومذهب الكثرة ويراد بالاول قلة المواد اللازمة للعمل اي قلة الاكسجين وبالثاني كثرة الفضول الناتجة عن العمل والاول مذهب فلوجر والثاني مذهب برير وهما عالمان مشهوران

ويعترض على المذهب الاول اي مذهب قلة الاكسجين في الجسم انه لو كان صحيحاً لوجب ان يشعر الانسان بالنعاس كلما عمل ساعة عملاً شاقاً وان لا يشعر به اذا قضى يومه كسلاً من غير عمل . والظاهر ان قلة الاكسجين تدعو الى الشعور بالتعب لا الى الشعور بالنعاس لان الانسان قد ينعس وينام من غير ان يكون تعباً

اما المذهب الثاني اي مذهب كثرة الفضول بين دقائق الجسم فيراد به ان الفضول التي تولد من اندثار دقائق الجسم بالعمل عضلياً كان او عقلياً تتكاثر اذا لم تنزع من الجسم حال تولدها فتفعل به فعل السم وتخدره فينعس وينام . ومن هذه الفضول التي تولد من انقباض العضلات الحامض اللبنيك فيحمض به الدم ويسبب السبات وكل ما يضعف قلوبية الدم يدعو الى النوم

ويعترض على هذا المذهب ان كثيرون يقضون النهار كله في العمل والشاق ولا ينعسون في اواخره بل ان بعضهم يشتغل احسن اشغاله العقلية بين الساعة الخامسة والثامنة مساءً بعد ان يقضي اكثر النهار في العمل الشاق . وان النوم يحدث فجأة في الغالب فلا يتدرج اليه الانسان تدريجاً مع ان الفضول تتراكم في جسمه تدريجياً . وان الانسان ينام غالباً بعد العشاء حينما يكون الهضم جارياً مجراه وقلوية الدم على اشدّها . والاعتراض الاخير اقوى ما يعترض به على هذا المذهب ويرد عليه ان الحموضة التي توجب النوم لا يلزم ان تكون في الدم بل في بعض المراكز العصبية . ثم ان النوم لا يقع بغنة بل فيه شيء من الندرشج فتنام الحواس بعضها بعد بعض آخرها السمع وكذلك تستيقظ متدرجة واولها السمع فهو آخر ما ينام من الحواس الظاهرة واول ما يستيقظ منها

ثم ان كل ما يهيج الدماغ يمنع النعاس او يؤخره فاذا اراد الانسان ان ينام لجأ الى ما يمنع تهيج دماغه كالظلمة والسكوت والراحة الجسدية والعقلية لان النور والصوت والالم والحلم كل ذلك يخلق البال ويمنع النوم من الاجفان . وقد يضطر الانسان ان يبقى مستيقظاً فيقف وفئة لا تريحه او يجلس جاسة فتعبه لكي يقوى على مغالبة النعاس . ولذلك فالنوم يأتي من تقليل منبهات الدماغ ويمنع بهذه المنبهات

واذا دنا النعاس رافقته تغيرات واضحة في الاوعية الدموية كأنَّ الدم يحاول تغيير مجراه . وتظهر اول دلالة من دلائل النعاس في جفاف العينين اذ يقل ورود الدم الى الغدد الدمعية . وترتفع حرارة الجسم كله وقد تستثنى اطرافه من ذلك . وهذه ادلة على تمدد الاوعية الجلدية عند اقتراب النوم ثم اذا وقع النوم وفقد الشعور زاد تمددها كثيراً كما ثبت بالامتحان . واذا اتسعت الاوعية الدموية الجلدية زاد الدم فيها وقلَّ الجاري منه الى الدماغ وقد ثبت ذلك بالامتحان والملاحظة اي ثبت ان الدم الوارد الى سطح الجلد يزداد وقت النوم والوارد الى الدماغ يقلُّ فتحدث فيه انيميا الدماغ . وارتأى هِل الفسيولوجي ان شرايين القناة العضمية تتمدُّ ايضا وقت النوم ويكثر الدم فيها . ويتعذر اثبات ذلك بالامتحان والملاحظة ولكن مبادرة الحيوانات الى النوم بعد الاكل الكثير ونعاس الانسان بعد اكلة ثقيلة ثما يؤيد هذا الرأي

الاَّ أن قلة الدم في الدماغ وقت النوم قد تكون علّة معيَّة لا علّة سببية واذا تعبت دقائق الدماغ وكثرت من العمل وقلَّ الدم الوارد لتغذيتها زادت تعباً على تعب وكلالاً على كلال فلا يبعد ان يتولاها الخمول والنوم . وقد بين الاستاذ هَوَل ان المركز الدماغى الذي يحرك الاوعية الدموية اذا تعب وكلَّ حدث النوم نتيجة تعبهِ وكلالهِ فان هذا المركز متسلط على الاوعية الدموية وهو الذي يرسل اليها الاوامر لتقبض أكثر مما لو لم يكن موجوداً وفعله هذا يقتضي اندثاراً دائماً في دقائقهِ وزد على ذلك ان التأثيرات ترد اليهِ من كل اجزاء الجسم وتنبيههُ الى العمل فكل ما تراه العين وتسمعه الاذن ينقل بعض تأثيرهِ الى هذا المركز ويدفعهُ الى العمل بما يسمى بالفعل المنعكس وكذلك كل حركة في اعضاء الجسم وكل وضع من اوضاعهِ ينتقل تأثيرها اليهِ وتنقل اليهِ التأثيرات العقلية ايضا والانفعالات النفسية وبديهي ان هذه المؤثرات تُتعب دقائقهُ العصبية فاذا تعبت بطول العمل لم تعد تتأثر وتلي الطلب فتضعف سلطتها على الاوعية الدموية الجلدية وغير الجلدية فيقلُّ تقلصها وتتمدُّ ويكثر الدم فيها فيقلُّ من الدماغ ويقلُّ ضغطهُ على شرايينهِ ونتيجة هذا الدوار او النعاس فاذا قاوم المرء ذلك ونبه نفسه ببعض الوسائط انتبه وعاد الدم الى دماغهِ ولكن الى حين فيعود اليهِ النعاس وطلب الراحة فيستلقي وحينئذ ترتخي عضلاتهُ وتغمض عيناه فيزيد ورود الدم الى اوعيتها ويقلُّ ورودهُ الى الدماغ الى ان يقف الحس كله . واذا نبه منبه حينئذ فانه يدفع مقداراً كبيراً من دمه الى دماغهِ فيوقظهُ ويعيد اليهِ فعلهُ . ولا بد من ان يكون هذا المنبه قوياً في الساعة الاولى والثانية من النوم واما بعد ذلك فالمنبه الضعيف يكفي للتنبيه

وقد امتحن كثيرون من الفسيولوجيين درجات الاستغراق في النوم فوجدوا انه يكون على اشده في الساعة الثانية ثم يقل رويداً رويداً . وقال بعضهم ان الاستغراق يشتد ايضاً قبل الصباح

اما الاستيقاظ من النوم في الصباح فسببه الغالب المنبهات الخارجية كالنور والصوت وهذه لو حدثت والانسان مستغرق في نومه قبل ان يكتفي جسمه منه ما نهته . وقد تكون المنبهات من الداخل لا من الخارج من حركة بعض الاعضاء او تكون من تصميم النية على الاستيقاظ في ساعة معلومة كأن الانسان يستهوي نفسه استهواءً

ومن رأي هول ان حويصلات المركز المحرك للاوعية الدموية تغتذي او تعود اليها قوتها رويداً رويداً مدة النوم فتعود اليها قابلية التنبيه رويداً رويداً الى ان تصير تنبيه لاقل سبب وبسرته المركز قوته قبلما يعود الشعور ولذلك يستيقظ الانسان بسهولة بعد ان يكتفي من النوم لا كما يستيقظ اذا اوقف في اول نومه قبلما يكتفي منه

اذا كان الامر كذلك فكيف تكون حالة الدماغ وقت النوم وفقد الشعور وما هو التغيير الميكروسكوبي الذي يحدث فيه وقت الانتقال من اليقظة الى المنام . وهنا مذهبان متناقضان الاول مذهب ديثال القائل ان الشعور يتوقف على اتصال حويصلات الدماغ بعضها ببعض او وصول فعل الحويصلة الواحدة الى الاخرى . ولا تصل التأثيرات الى حويصلات المراكز العصبية الا على موصل تمر عليه فاذا انقطع الاتصال من طريقها انقطع الشعور بها . واذا انقطعت كل الطرق التي توصل التأثيرات الى الدماغ زال الشعور بالمؤثرات وكذلك اذا انقطعت كل الطرق التي تذهب باوامر الدماغ الى اعضاء الجسم المختلفة لتحركها بطلت الحركات الارادية . واذا انقطعت طرق الاتصال بين مراكز الدماغ المختلفة بطلت الافكار والتصورات لان حويصلات الدماغ لا تفعل فعلاً مشتركاً ما لم يكن بعضها متصلاً ببعض الآخر او ما لم يكن بينها موصلات تصل بين افعالها حتى تواف منها فعلاً مركباً . ويكفي ان يقع هذا الفصل بين بعض الدقائق لكي يفقد الشعور الذي يحدث مدة النوم . وقد قطع ديثال رؤوس بعض الكلاب بغتة وهي مستيقظة وقطع رؤوس غيرها وهي في حالة الغيبوبة ونزع ادغتها حالاً ونظر اليها بالميكروسكوب وقال انه وجد الحويصلات في ادغة الكلاب النائمة متقاطعة ومفصلة بعضها عن بعض

والمذهب الثاني المناقض لهذا هو مذهب العالم لوغارو الايطالي والمذهبان يفرضان ان الحويصلات تتحرك حركة اميبية اي تمتد منها نتوات تصابها بما حولها كما تمتد النتوات من الحي

المعروف بالاميبا ولكن ديفال يذهب الى ان هذه التنوات تقصر وقت النوم فيمتنع اتصال الحويصلات بعضها ببعض واما لو غارو فيذهب الى ان التنوات تكثر وتطول وقت النوم . وقد يُظن لاول وهلة ان هذا المذهب منقوض من نفسه لان كثرة التنوات والتشعبات في حويصلات الدماغ تقتضي كثرة الافعال العصبية وكثرة الافكار وليس الحال في النوم كذلك . ولكن يظهر لدى امعان النظر انه اذا كثرت تشعبات الحويصلات الدماغية اختلطت الافعال العقلية واشتبكت فيقل سيرها في الطرق القوية حتى تحدث الافكار المنتظمة من مجموعها . فعلى مذهب ديفال ينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ وقت النوم ثم يعود وقت اليقظة . وعلى مذهب لو غارو تزيد الصلات بين حويصلات الدماغ وقت النوم فتشبتك بعضها ببعض وتختلط . ونقل وتقصر في اليقظة فتنتظم وتعود الى مجاريها المألوفة

ومن المحتمل ان الامر ينحدر الى وقت واحد فينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ في بعض الاماكن وتزيد الصلات في اماكن اخرى . ففي نوم الاستهواء ينقطع الاتصال بين حويصلات مراكز السمع والاعصاب التي توصل التأثيرات الخارجية اليها فيقوى السمع جدا . ولذلك تجد من ينام نوم الاستهواء خاضعا لارادة منومه تمام الخضوع كان لا ارادة له وتراه ايضا يسمع الصوت ولو كان همسا بعيدا ومن المحتمل انه يشعر بالمرئيات احيانا ولو كان مغمض العينين . ويحدث مثل ذلك في اليقظة ايضا فاذا انحصر انتباه انسان في موضوع ما غفل عن غيره حتى لم يعد ينتبه له اما ما انحصر انتباهه فيه فيدركه تمام الادراك ويصوره لنفسه ولو كان خياليا كأنه صورة مجسمة لكن في نوم الاستهواء يحرقن الدماغ بالدم الكثير الوارد اليه واما في النوم العادي فيقل الدم فيه حتى يصيبه شيء من الانيميا . فان كانت زوائد الحويصلات الدماغية تطول جدا في النوم العادي فهي تقصر جدا في نوم الاستهواء ويؤيد ذلك كثرة التخييلات في النوم العادي وقتها في نوم الاستهواء

وخلاصة ما تقدم ان اعتياد الناس العمل والسعي على نور النهار والنوم والراحة في ظلام الليل جعل في نوع الانسان ميلا طبيعيا الى العمل في النور والراحة في الظلمة وفي وقت العمل يزيد الاندثار في دقائق الجسم على التجدد فيجل فيه التعب من تراكم الفضول فيه وقلة الاكسجين فيضعف عن العمل ويطلب الراحة ويشمل ذلك اعضاء البدن ومراكز الدماغ واخصها المركز المتسلط على حركة الاوعية الدموية الجلدية لانه يتعب اكثر من غيره فتضعف قبضته على بعض الشرايين فيكثر الدم فيها ويقل في الدماغ لان مقداره واحد فاذا زاد سفي

مكان قل في آخر . ومتى قل في الدماغ قل فعل الحويصلات الدماغية فلم تعد تفعل وتنفع
كافي اليقظة اما لانه ينقطع الاتصال بينها او لان افعالها ترتبك لتشعب المسالك التي
تسير فيها فلا تعود تجتمع حتى يحصل من مجموعها افكار منتظمة . هذه غاية ما عُرِفَ حتى
الآن عن فلسفة النوم

هذا وقد ابنا في الكلام على التخيلات والخيالات في المجلد السابع من المقتطف ان سببها
اختلال في الدم الدائر في الدماغ اما في كميته او في كيفيته او فيهما كليهما والغالب ان يكون
سببها كثرة الدم في الدماغ ولكن قد يكون سببها قلته فيه وذكرنا هناك امثلة كثيرة تؤيد
الامرين . والرأي المشهور في تعليل التخيلات والخيالات هو انها تحدث من خلل في السريرين
البصريين من كثرة الدم او قلته فيهما . ومعلوم ان التخيلات والخيالات تكثر وقت النوم وتولد
منها الاحلام وذلك دليل آخر على كثرة الدم او قلته في الدماغ وقت النوم حتى يزيد عن
الحد الطبيعي او يقل عنه

تركة السلف

كنت في هذه الآونة اطالع احدى الصحف العلمية الافرنجية وأعجب بما ارى من آراء
تبحث بطول الروية وحركة عقلية يجملها بمن القيمة وقلة الانانية تشير الى عراقية في العلم
واصله في حسن خدمته ونجدته وتناغم في الكلمات وتطبع على تناولها كبراً عن كبر . فلم
أعتم ان جال في خاطري والخواطر جائلة شيء من اعصرنا المتوسطة وعلماء العرب في المشرق
والغرب مصابون بمثل هذا الداء دأبهم بث الدعوة الى العلم وإحكام الملكات الفائقة الآفة
ونجبراهم إتيان العمل الرافع والكلم الصادق وقصاراهم ان ينجلي الحق بلسان اي انسان فلا ترى
الأركان من العلم المنقح ومناقبه طيآن من الجهل المركب ومثالبه . وبيننا يسبح الفكر على هذا
النحو والنفس تشاغى بضروب الذكرى من قياس الحاضر على الغابر والاسف لبغداد ومرفند
ودمشق وفرطبة والاعجاب ببرلين ولندن وباريس ونيويورك عثرت على شذرة صيغت بقلم
احد اعضاء المجمع العلمي الباريسي حث فيها بني قومه على الترفع في اقتناء الكتب حثاً
بالغا البينة في البيان متمساً لجامعيها الاعذار لعدم تمكنهم من قراءتها كلها وتحسناً عدم
تربطهم في إعارتها وذكراً برجال عندهم كانوا عرفوا بهذه المزية فقال :

لا تصبح الاخلاق بحجة الكتب شرسة البتة والطف الناس في العالم عندنا محبوبها . وهل

اجمل في حسن الاحدوثة من ابداع الاسفار في خزانة كما يفعلون . وان صنيعهم هذا ليدكر بما بتعني به الاولاد من ركم الرمل على شاطئ البحر واشتغالهم عبثاً لما ان ما يركونه من الرمال ينهال للحال وبعثي اثره . وهذا شأن مجامع الكتب والصور فكما ان البحر يودي بكموم الرمل يشتت الدلال تلك الكتب المجمعّة اذ يبيعها جملةً وافراداً واللوم في ذلك على صروف الدهر وقصر العمر . غير انه ما من شيء ازين في العاقبة من جمع الرمل في السنة السادسة والكتب في الستين . وهيات ان يبقى شيء مما نعمله ونجد فيه الان . اذا فالرغبة في ابتياع الخشار ليست دون الرغبة في غيره .

يعيش عشاق الاسفار ممتعين بصيت حميد واثر مجيد قائمين بما يفرضه العالم عليهم . فقد تجد نفوساً مائلة الى الكتب بكليتها وما الدنيا عند اهلها الا كناية عن حبر وورق . ومن يحيا بمثل هذه الروح يقضي حياته امام منضدة عمله ولا هم يعرفه من جراء الحقائق المتأثر على دراستها الملازم لاستبطان سر ما خط فيها واستنباط غور ما استخراج منها . ومثله لا يعرف من جمال ربّات الحجال الا ما سطر في كتبه ولا يدري من المحن واعمال الرجال وآمالهم سوى ما يستطيع ان يحصر في حبك الكتب ويسمى في تضاعيف جلودها فهو بهذا على الجملة مضاد للطبيعة الا انه بريء لا ذنب له .

ثم قال لبارك الكتب اذا امكن قضاء الحياة وسطها في شبيبة راية راضية . وإن من الناس من عرفتهم فما اغنتهم القراءة والكتابة تبصرة ولا سكينه . فان كانت الاسفار تحمل السلم الى المسلمين فيها تضطرب النفوس المبهوسة المبهوشة . ما الكتاب الا عيارة عن عمل من السحر يصدر منه صنوف من تشويش البال وتبدل الضمائر . ما الكتاب الا آلة سحرية صغيرة نقتادنا الى وسط نرى فيه صوراً ماضية ونشرف منه على ظلال خيالية . وما أشبه المستكثرين من تصفح الصحائف الا بالمدمنين تناول الحشيش من كونهم يعيشون في حلم فما ينقذ الى تلايف رؤوسهم من ممها الساري يفقد هم الحسن بما في العالم الحقيقي . ويجعلهم عرضة لاهوام مفزعة او مفرحة وما الكتاب الا آفيون الغرب وما نحن به الا هالكون .

هي الكتب حتى تكلف بها لانها تكلفنا سيراً ونعشقها فنرى فيها خطراً خطيراً . قلت انها تهلكنا وهو كلام رجل شغفته حباً فانكب على التلمي بها لا يراقب الرقباء ولا يهرب العواذل وذلك لان لدينا منها العدد الكثير والانواع المتنوعة . ولئن كنا بها نموت فيها نحيا ولها علينا الايادي البيضاء . الكتاب يشبه اللسان من حيث يمكن أن يقال عنه انه احسن الاشياء واقبحها على انه حسنة الحياة المدنية مفتاح العلوم لسان حال الحقيقة والعقل به يعلم

المرء ويمشي من التحقيق على سواء الطريق ويقضي اول الفروض المتحتم عليه اداؤها من تسبيح الالهة . ويصح ان يُنعت بأنه أم كل نزاع ومنبعث كل شقاق . فان قيل فيه لسان حال الحقيقة فيقال ايضاً والضلالة . وان شئت زيادة في فحجه فقل بلا اثم ولا حرج انه صوت البهتان به تدمر البلدان وترذل نفس الانسان . وان كان من وجه يسبح الالهة فمن آخر يجذف ويطن في قدرتهم . وانا اقول ناصحاً لمن سئمت ابصارهم النظر الى كثير من الاوراق المسودة ان لا نتعشقوا الكتب ولا تصحبوها كيفما اتفق بل تطفوا في الانتخاب واجملوا في الطلب

هذا مقال العالم الافرنسي وهو كلام تسوخ تلاوته على رؤوس كل جيل وقبيل وان كان كثيرون في هذه الديار اسمي من ان ينحوا بمثله لانهم لا يحفلون الا بما كان موضوعه الزهد والحاسة والمجون يقبلون كتبها على علائها ويردون مواردها على كدوراتها . وليس الاستكثار من جمع نافعها بموجود الا في مقصودات افراد بيننا يعدون على الاصابع اولعوا حديثاً يجمعها كما يجمع الغلاة في محبة الطوائع مجاميعهم او يزين الغني قصره بالعاديات على حين ان المثقفين من موسري الاوربيين يغالون باقامة المتاحف في قصورهم او خزائن الكتب الثمينة في نواديهم فينتفعون وينتفعون

ولقد قرأت منذ عهد ليس ببعيد وصف مكتبة لاحد اغنياء بروكسل عاصمة البلجيك بدعي لوفانجول (Lovengoul) وهو رجل خطبته المناصب في مبداء امره لغناه وغناؤه فبحاني عن ان يكون سفيراً او وزيراً او اميراً او مشيراً ورأى منذ اربعين سنة ان سعادته في الاعلاء عن تطالب الدنيا الى النهوض بهذه الاعباء وعلم ان جمع الكتب اجمل صناعة يصرف عليها نهاره وليله فاشتد لوعه خاصة بتأليف كتبت بخط مصنفها او وشحت على الاقل بتواضعهم فطاف من اجل ذلك المعالم والمجاهل يطلب ورقة سودتها انامل عالم او كتاباً معتقاً اكل الدهر عليه وشرب فاشتهر في الغرب امره وصار غنياً بماله غنياً بكتبه غنياً بعلمه غنياً بانصراف الوجوه اليه توقعاً للنفع من اسفاره

بوصف هذا الرجل واقرائه في الغرب من الاغنياء العلماء من لم تعرف قصورهم المنجدة غير الادب ثقام سوقه والفضل تنفق بضاعته يندفع الشك فيما روي عن صاحب بن عبّاد من علماء القرن الرابع واحد وزراء بني بويه وقد احتج بان كتبه يحتاج الى اربعمائة جمل لتحمل الى ملك اراده على المحي اليه

وبعد فاننا سكان العالم القديم نحاول التشبه بالمتدنين ونعمّا الفعل فعلنا لولا اننا نكتفي

بالقشور من حضارتهم وهم يتلقفون اللباب من مدنية اسلافنا وها قد تعلم بعضنا مبادئ لغات
الاجانب فقاموا يحنقون كل شيء اصله شرقي ومن ذلك ذهابهم الى الاضراب عن الكتب
الخلفة عن السلف لانها امست بزعمهم كالشرائع المنسوخة لا تصلح الا طعمة للنار ووقوداً
للتنانير اوسدائد للبواطي والقوارير وصريراً للنقولات والعقاير

كنت يوماً اقرأ كتاب الاحكام السلطانية للماوردي المتوفى في الخمسين واربعائة فدخل
عليّ احد المعارف ممن تخرجوا على الاويين ولما رأى ما انا من الاشتغال به تناول الكتاب من
يديّ وتصفح اسطراً ودفعه اليّ مزيئاً على علماء العرب كلامهم . فقلت له يا هذا ان الحكم على
الشيء فرع عن تصوّره وان شرع الحكمة ليجب ان لا نقسّ القديم لقدمه او نبارك
الحادث لحداثته ومن الخرق في الرأي ان تصدر الحكم الا بعد إطالة الروية واعمال الفكر معمّلة
في القضية فان رابنا شيء أنظرنا ونظرنا والاّ حكمنا فلا تقبل النقض ولا الدفاع

الماوردي من اساطين العلم في عصره اجلّ الاوربيون مقامه كغيره من كبار الرجال حتى
لا تكاد مكتبة في بلادهم خاصة او عامة تخلو من بعض تأليفه وكتابه الاحكام السلطانية
طبع فيما نعلم في الغرب وترجم حديثاً الى الافرنسية بقلم المستشرق الكونت اوستروروغ
(Le comte Ostrog) . وهب اننا سلّمنا معك بقلة الفائدة من امثال هذا الكتاب
الذي قضت عليه الظروف السياسية ان لا يعمل به والسياسة هنا ما برحت متحركة على العلم
اما كنّا نظالعه لنعرف تاريخ نشوء هذا الفن ونأخذ اخذ الاوربيين على الاقل في عنايتهم
بالبحث واحفظهم باللغات المائنة كاشتغالهم بالحية وقد نقضي قوانين مدارسهم الجامعة بهداسة
دواوين قدماء شعرائهم مع ما تعاقب على لغاتهم من تغيير اوضاعها فالانكليز مثلاً ما برحوا
متعلقين بحلّ آيات شاعرهم شكسبير الذي قام في القرن السادس عشر والناشئة منهم اليوم
يبتاص عليهم فهم معانيه وتصويراته

فان كان هذا حال الاوربيين من انصباهم على الاخذ من شعرائهم الماضين فما الحال بنا
وأصح ما كتب في لغتنا من حكمة وادب يُرَدُّ تاريخه في الغالب الى القرون الاولى للاسلام
لانتشار الفكر على ذاك العهد ورواج سلع العلم وراجها في الغرب اليوم . واني شريك
يا صاح في الاخذ عن الاوربيين ومعاشرتهم وقراءة مصنفاتهم والإعجاب بحضارتهم وما عهدتهم
ولا هوادة في الحق ولا إدهان الا متفانين في انضاء العزائم طلباً للكتب المشرقية من اعطاف
البلاد فلم كل هذه العناية يصرفونها ولم كل هذا الجد في عقد المجامع والمنتديات وانشاء
المدارس وبذل النفاس لو كان جميع ما الفه العرب ناقص الجهاز شخّنت الحلقة

وبديهي أن كل علم أو كتاب مهما بلغ من التنقيح لا يبرأ من أشياء تستدرك على واضعه ومع وقوع الاجادة في اغلب مصنفات كبار الفلاسفة باوربا لعهدنا ما خلوا من انتقاد وتنبيد. ول خرج البشر قط عما في طاقاتهم فعملوا عملاً لا يحتمل الغلط والتغليط ولا يفترق الناس فيه بين مستحسن ومستهجى. هذا سبنسر (Spencer) شيخ فلاسفة العمران في عصرنا على علو كعبه في الحكمة ما نجا من نقد تآلفه وتسفيه رأيه في كثير من مبادئه فهل قدح ذلك في قدره وعد غمزة عليه. ومن ينكر ارتقاء العلوم بكثرة الاشتغال بها وان واضعها بادية بدء يضع قواعد طيفة قد تكون مغلفة ثم ينخل نطاقها ويحسن خلقها وخلقها. وضع آدم سمث في الاقتصاد السياسي في القرن الماضي فتعاقبه العلماء يحون ويثبتون. ووضع ابن خلدون علم العمران في القرن الثامن للحجرة فقفا العلماء اثره يزيدون ويذبلون. وهكذا قل عن الفنون التي وضعت في القرون المتأخرة ولا عهد بها للعرب ولا للروم ولا للفرس ولا للهنود ولا للصينيين فان العقل الانساني لا حدا له في الارتقاء

اليك زبدة ما دار بيني وبين من ارتأى ان يضرب بكتب العرب عرض الحائط ولو سمع منه عالم اوربي هذا التصريح لأضرب عن اجابته لعله بان الخوض في مبحث نقرر من الحديث المفروق عنه ولو طالع ما كتبه المنصفون من الفرنجة على مدنية قوميه وحسن بلائهم في خدمة العمران واستعمل قواه العقلية وحكم ضميره لا عندل مشربه ولحدته نفسه بان خذ ما صفا ودغ ما كدر. ولولا ما عم القول لالتست له عذراً لكثرة ما في الايدي من كتب لو اغنيض عنها بما خلفه المحققون من الآثار لما انحطت المدارك الى هذه الدرجات

وانه ليقول للاوربيين كل تحميد وتحييد فانهم مع ما بلغ اليه العلم عندهم من الجلاء ما برح عقلاؤهم متوقفين في كثير من مسائله ريثا يعثرون على ما فقد من الكتب القديمة فقد حسبوا حسابهم فراوا ان ما لديهم من الكتب العربية مطبوعة كانت او مخطوطة لا تكاد تبلغ ثلث ما ذكر في تراجم المشاهير من المصنفات. حتى ان علم الفلك على ما يعلم الجمهور من ارتقائه اليوم بما تهيا له من الادوات المخترعة الحديثة لم ينخل من محارات الافهام فقد زعم فريق ان العرب على قلة معرفتهم بالتصوير وعدم الادوات الكافية لم يكونوا دون اهل هذا العصر فيه. وكذلك قل عن التاريخ فقد صرح احد علماء الغرب بانه لم يتحرر عندهم بعد الى الغاية التي انتهى اليها وقت ازدهاء العلم في مشرقنا

وكيفما كان الحال فاننا نرى الفرنجة محتفظين بتركة اسلافنا منذ دب في نفوسهم روح التقدم. واكد بعضهم ان ما يطبع من كتب المشاركة في اوربا كل عام يبلغ نحو الف كتاب

فلو فرضنا ان ما تفضلوا بنشره منذ بدء النهضة هو ربع هذا العدد او ثمنه كل سنة فكم تبلغ كتبنا المطبوعة عندهم يا ترى . وما يُخجل ان احد الاصدقاء اعز اليّ منذ مدة ان اكتب نبذة في عمران دمشق فطفقت اتصفح اقوال المتعرضين لذلك من المؤرخين والجغرافيين فلم اظفر من الاسفار المتداولة بطائل ولا نائل ولولا كتب حجة في هذين الفنين طبعت في اوربا بالعربية لخرجت الرسالة بتراء جذماء بالمرّة لان ما يتعلق بهذه الحاضرة من الآثار قلّ ان تجد له فيها ذكراً فقد ألف الحافظ الذهبيّ الدمشقيّ من علماء القرن الثامن مثلاً عشرات من المجلدات في التاريخ ومن الاسف انك لا تكاد تجد في هذه البلاد ورقة واحدة منها ولا غضاضة اذا نودي عقيب ما تقدم ان بعيداً يحسن القيام على هذا التراث الوافر لآخرى به من قريب ببدنه جزافاً وان اقواماً كالغربيين عرفوا الحق فقال احدهم ان بعض علماء العرب وضعوا من صنوف المصنفات ما لا يستطيع احدنا ان يقرأه كل عمره لجد يرون بارث الشرق في ماديّاته واديّاته وان الانكليز ليعذرون على قانونهم الذي لا يورث الابكر الاولاد تقادياً من ان لا يثر المال في ايدي غير الاكفاء . وخلق بالعافل والحكمة ضالته ان لا يسلم ايضاً بان حسنات بغداد بما مونها فوق حسنات اثينا ببركليسيها ورومة باغسطسيها الا بعد تمييز الزيوف من النقد العزيز والمفاضلة بين مناجم الفحم وركاز الابرز محمد كرد علي

تربية الاولاد

من كتاب تدبير الاطفال في الصحة والمرض لمؤلفه الدكتور اسكندر بك جريديني
التربية علم واسع الاطراف نذكر من اساليبه وكيفياته ما يسمح به غرض الكتاب وقد قسمنا الكلام عليها الى قسمين

اولاً : التربية البدنية . وثانياً : التربية الذهنية ولادبية

فالتربية البدنية او الرياضة الجسدية تقوم بتحريك عضلات الجسم والتنزه في الجنائن البعيدة عن مجامع الناس واقدار المدن . ولا بد للولد من تربية بدنية وهذا فرض واجب على الوالدين لان نجاح كل امة موقوف على افرادها والافراد بصحة ابدانهم وشدة بأسهم وجلدهم . ومن كان مسقماً ممرضاً قصر عن القيام بواجباته نحو وطنيه ونفسيه وكان حملاً ثقيلاً على اهله ووقراً على عاتق الانسانية

وتبتدى التربية البدنية من الاسبوع الثاني من الولادة وهو الزمن الذي يشترع فيه

الطفل بجريك يديه ورجليه ولذلك لا يجوز ان يغمط من رأسه الى اخمص قدميه او يلبس ثياباً زائدة في طولها عن الحد الذي يطلبه قانون الصحة لئلا يمتنع عن الحركة كما يهوى فيتعوق نموه . هذه اول خطوة من خطوات التربية البدنية والخطوة الثانية هي ان تحمل الطفل على البدن مستلقياً نحو مرتين في اليوم وتحمه مخدة من الريش الناعم كأنه نائم في سريره . ولا بأس اذا كان يحمل في اثناء الشهر الثاني من غير مخدة على الطريقة التي تقدم ذكرها وبعد ذلك يحمل منتصباً على الذراع الواحدة ويسند ظهره ورأسه بالذراع الاخرى . ولا يجوز ان يخرج به الى النزهة قبل الزمن الذي يؤهل جسمه لتحمل الهواء . وثم عادة سمجة وهي انهم يعرضون الطفل الصغير للهواء باكراً بحجة ان ذلك يقوي بدنه ويعوده تحمل الخشونة وهي حجة واهية لان مس البرد ولا سيما في الطور الاول من الطفولية يؤثر في اجسام الاطفال البضة معها كان الطقس معتدلاً او حاراً فيضر بصحتهم ضرراً جسيماً كما ان التألق والتحفظ الزائدين يورثان الضعف والسقام وخير الامور الوسط

والافضل ان يخرج بالطفل الى الهواء تدريجياً فيؤخذ حينما يصير ابن اسبوعين من غرفة الى غرفة اخرى هواؤها ابرد من هواء الغرفة الاولى بقليل حتى يتدرج على تحمل الهواء من غير ان يلحق به ضرر من التعرض له دفعة واحدة

وجوز من الشهر الثاني فصاعداً ان يخرج به الى الخلاء في الايام المصحية فيمكث من ١٠ الى ١٥ دقيقة في الدفعة الاولى واكثر من ذلك في الدفعات التالية . ويجتري من الخروج به في الايام الباردة قبل الشهر الثالث من عمره . واذا صادفت ولادته في فصل الشتاء فالاولى ان يبقى في البيت الى فصل الربيع حتى يدفأ الجو ويكون الطفل في مأمن من مضار البرد . ومع ذلك فان الحكم في هذه الحالة عائد الى تدبير الام وحكمتها وحالة الطفل من القوة والصحة . واذا كانت ولادته في فصل الخريف فيعود الخروج الى النزهة قبل مجيء الشتاء واما في ايام البرد والارياح الشديدة فيمكن ان يلف بهلاءة ثم تفتح نوافذ الغرفة التي ينام فيها حتى يتجدد هواؤها ويستنشقه نقياً خالياً من الفساد وذلك افضل من الخروج من المنزل في مثل هذه الاحوال . وانما يجب ان يوضع في اثناء ذلك في مكان منحرف عن مجاري الهواء لئلا يبرد وحتى في الايام الحارة يجب ان يعنى بتدفئته في النزهة فاذا بردت رجلاه او يدها ردت الى البيت حالاً

ويحسن ان يخرج به في الدفعة الاولى على ذراع امه او حاضنته لان حرارة بدنهما تحفظ الطفل دافئاً فضلاً عن ان اسنادها اياه يدها الاخرى يريحه راحة كبرى

وبعد الشهر الثالث وذلك حسب الطقس يؤخذ الى الزهدة على عربة الاطفال ويجب ان تكون العربة مستوية اي غير مائلة الى جهة من الجهات ورفاصها ليتنا وفراشها ناعماً من الريش او الشعر وان يكون لها وسادة يجلس عليها الطفل حينما يبلغ العمر الذي يؤهله لذلك . ومظلة لمنع حرارة الشمس والاخيرة لازمة جداً وبدونها لا تنفع العربة شيئاً . وكثيراً ما نشاهد هذه العربات في شوارع المدن تسوقها الخادمة من غير مظلة والشمس تلغ وجه الطفل فتحرقه او تكون سبباً لاعتلاله او هلاكه .

والافضل ان يكون لون العربة من الظاهر اسود او اسمر وكذلك بطانتها وفرشها لان اللون الابيض ولا سيما الالوان البرافة كالاحمر والاخضر تعكس نور الارض الى العينين فتضر بهما ضرراً جسيماً .

ويشبع العربة سير من الجلد يربط الى جانبيها من الامام لوقاية الطفل من السقوط . على ان وضعه على هذه الصورة لا يخلو من الخطر لانه اذا اصطدمت العربة او كان الطفل كثير الحركة وخادمتة لاهية عنه وقع وتهشم كما حدث ذلك كثيراً . ولذلك يجب ان نتدارك هذه المخاطر بتركيب السير الى جانبي العربة بعلافتين من الجلد حتى يحيط بالطفل ويحصره داخل منطقة حريزة تضمن له السلامة من السقوط .

ومن الشهر السادس فصاعداً يميل الطفل الى القعود في العربة عوضاً عن وضعه فيها مستلقياً وحينئذ يدغم ظهره وجانباه بالخداد الى ان يبلغ الشهر السابع من العمر فيجلس على مقعد العربة وحده . ويناسب ان يوضع من الشهر الثالث فصاعداً على فراش او ملاة وثيابه مرتبة على طريقة تسهل عليه الحركة كما يهوى فيقلب تارة على جنبه وتارة على بطنه وظهره وبهذه الوساطة يقوى عضله فيهبون عليه الحبو (الدببة) والمشي حينما يجيء واثنهما . ولا يخفى ان الولد يسر بالحبو ويلذ له كثيراً واذا رأيتة يحبو بكثرة زائدة فلا تمنعه لان الحركة تقوي بدنه وهي دليل الصحة والعافية . ويجب ان لا يغفل في اثناء ذلك عن مراقبته لئلا يذهب الى مكان مرتفع فيسقط ويتكسر عظمه او تنسجج بشرته او يلتقط من الارض شيئاً مضرّاً او تحرقه نار او يغرز بآبرة او دبوس كما يحدث ذلك كثيراً . وقد تشغل الام في تدبير منزلها فلا تستطيع مراقبة ولدها وعندئذ يوضع ضمن سياج او اطار من خشب مؤلف من اربع اضلاع تتصل بعضها ببعض بواسطة شتا كل من حديد ثم تفصل وتحزم عندما لا يراد استعماله .

والمشي كالحبو يروض الجسم ويجب ان يترك الطفل الى ان يقدم عليه من تلقاء نفسه ولا يكره على المشي قبل ان تقوى قائمته ويتصلب عظمه لئلا يكون سبباً لاعوجاج ساقيه ولا سيما

إذا كان معداً لمرض الكساح أي رخاوة العظام على أنه يجوز حالما يقوى الطفل أن يسير كل يوم على قدميه نحو ١٠ دقائق أو أكثر حسب قوته وسنّه . ويداوم على الزهزة في عربة الاطفال الى ان يبلغ السنة الرابعة من عمره وبعدئذ يركب عربة يجرها جحش أو حصان صغير (بوني) على نحو ما ترى في شوارع القاهرة وكما تقدم الولد في السن زاد ميله الى اللعب فلا يل ولا يكمل وهذا من غرائب ما يشاهد في الاولاد . ومن الواجب ان لا يسمح له بترويض بدنه الى حد الجهد والاعياء لئلا تكون الرياضة وبالاً عليه

وأولاد المدارس من أحوج الناس الى ترويض ابدانهم لان ازدحامهم في المدرسة واشغالهم في درس العلوم كثيراً ما يفيضان الى الخطاط العقل وربما احدثا امراضاً عصبية يصعب برؤها واشدها وطأة المرض المعروف برقص القديس انطونيوس الذي يكثر حدوثه في اولاد المدارس من اعمال الفكرة والتقاعد عن الرياضة البدنية كما ينبغي ولا بدّ للتلميذ من ساعة أو ساعتين يروض فيها بدنه باللعب في الهواء المطلق . وانفع الالعب للتلاميذ ما يلعبونه من تلقاء انفسهم لانهم يغتبطون به ويجدون فيه من اللذة ما لا يجدونه في غيره من الالعب التي تقترح عليهم أو يكرهون عليها

ومن صنوف الرياضة المفيدة للاحداث ركوب الخيل والحمير والرقص والسباحة وكرة القدم والتنس وركوب الدراجة (البيسكل) كل هذه تحسن آثارها لا في الصبيان فقط بل في البنات ايضاً . ولست أرى مانعاً ادبياً ولا غير ادبي يمنع البنات عن ترويض بدنهن بجميع الالعب التي يثرن عليهن الذكور في الهواء وحرارة الشمس وهذا خير لها من الاخفاء في بيتهن لان الرياضة على الطريقة التي تقدم ذكرها تكسيها صحة وجمالاً وبالتالي فلا تكون من الكسيدات في سوق الزواج

وقد اخترع الافرنج العاباً كثيرة لترويض ابدانهم وأنشأوا النوادي والجمعيات من رجال ونساء للمسابقة في فنون الرياضة الجسدية وقد جرت الحكومة المصرية هذا الجرى في مدارسها وكثيراً ما يلعب تلامذتها على رهن أو جائزة لان ذلك يرغبهم في ترويض اجسادهم وينشطهم على المباراة فيكون لهم نفع صحي يغتبطون به طول حياتهم ولا تجد فيهم من المترهلين والقصعين ما تجده في من سواهم من الذين لا يراعون قانون الرياضة كما ينبغي

التربية الذهنية والادبية ❖ هي ان تنور ذهن الولد وثقافته وعقله وتهذب اخلاقه وتقوم سيرته لكي يصير رجلاً بالحق متمصفاً بصفات الانسانية

ويزعم أكثر الناس ان التربية العقلية قائمة بتعليم الولد في الكتب ولذلك يسرعون برضعه في المدرسة حالما ينطق ببعض اللفاظ فيكرهونه على تعلم قواعد العلوم او بالاحرى على حفظها غيباً كاللبغاء من غير فهم ولا لذة ترغبه فيها لانه لم يترشح لادراك معانيها بالوسائط العملية اي بتقوية ذهنه وتنويره بالخطاب قبل الكتاب. ولهذا السبب ينفر الولد من المعلم والعلوم وتصير المدرسة سجنًا مطلقاً في عينيه

ويبدأ بالتربية من الشهر الخامس وصاعداً وفي هذا الزمن يسر الولد بالاعيب الاطفال وافضلها ما كان من الجلد او الكوتشوك وغيرها من المواد اللينة لانها اذا كانت من المواد السهلة الانكسار كالجبس والفخار فلا تلبث ان تنكسر فتضطر الام الى ابدالها بلعبة اخرى جديدة . ولا يخفى ان الرزق الكثير يؤدي الى الاسراف والتبذير وهكذا حال الطفل من هذه الاعيب فانه اذا رأى انها تنوارد عليه من غير حساب قل حرصه عليها وفائته الفائدة منها. وبناءً عليه يجب ان يكون للولد لعبة واحدة من المواد الغير السهلة الانكسار حتى تبقى عنده مدة طويلة ويتعلم ان يحرص عليها ويعتني بتنظيفها وتديريها لان الولد قابل للتعليم والتهديب مهما كان صغيراً

ومن جملة الملاهي العقلية التي تنور عقل الولد ان يكون في البيت كتب موضحة بصور مشاهير الرجال وبعض اشكال الانسان والحيوان والنبات فتشرح له امه او حاضنته شيئاً عنها على مقدار سنه وفهمه حتى يتهيأ عقله تدريجاً لقبول المعارف التي تلقى عليه في المدرسة ومما يسر الولد كومة من الرمل الجاف يلعب بها في ايام البرد في بيته فتارة يسطها فيجعل منها سهلاً وطوراً يكومها فيمثل جبلاً او اكمة وبهذه الوساطة يدفع عنه الملل والفجر ويتيأ عقله لقبول العلوم الجغرافية وقس على ذلك سائر العلوم

ولا تخاطب الولد بالفاظ لا معنى لها وهي اللغة التي تستعملها الام في مخاطبة اولادها ومعظمها كلام غير مفهوم يتلقنه الولد كانه لغة اعجمية ولكن لا معنى لها ولا وجود سوى في مخيلة الامهات . والافضل ان تخاطبه من بدء الامر بكلام واضح وعبرة جلية حتى يتعود من صغره طلاقة الحديث وفصاحة اللسان

ومن عادة الاولاد ان يسألوا عن كل غريب يشاهدونه وهذا طبيعي فيهم يدفعهم اليه حب الاستطلاع والوقوف على كل شيء يجهلونه . بدلنا على ذلك انك اذا ذهبت بالولد الى الجنائن والتقط زهرة او شاهد طيراً الى غير ذلك مما يقع تحت يده او يستلفت نظره اتي اليك يسأل عن هذا وذلك وينتظر الجواب بشوق زائد على انه كثيراً ما تعد الام هذه الاسئلة

ضرباً من التطاول والفضول فتزجره عنها او تجعل جوابها قليل الفائدة . ومن الواجب على المربي كائناً من كان ان يجاوب عن كل سؤال يطرحه عليه الولد ويشرح له كل غوامضه حتى بشرته ويرسخ في ذهنه . ولا يخفى ان ما يتعلمه الولد من الاسئلة او يسعى في تحصيله من عند نفسه اختياراً لا قسراً واضطراً يكون احب اليه وابقى في حافظته مما لو اخذه عن الكتب في المدرسة

على انه اذا سأل الولد سوءاً في غير محله او لا يليق بمن كان في سنه فيجب ان يمنع عنه ولكن بالطف والملاينة لا بالقسوة والخاشنة

والقدوة من أكثر ذرائع التعليم والتعلم فائدة للاولاد بل هي افضل معلم لهم وذلك لبراعتهم في التقليد والاقتناس وبناء عليه يجب ان يكون الوالدون قدوة حسنة لاولادهم في القول والنعل ولا يسمحوا لهم بعاشرة الاولاد النافسي التربية لئلا تسوء تربيتهم وآدابهم ولا بد من تدريب الولد على الطاعة حتى يمتثل لاوامر والديه حباً بهما لا طمعاً في جائزة او فراراً من عقاب . ولا يخفى ان الطاعة من أكثر ذرائع التربية فائدة ولا سيما في وقت المرض لان الولد الذي لم يتعلم ليطيع والديه ويدعن لاوامرهما يرفض الدواء ولا يأخذه الا قهراً بعد عراك طويل ربما ينجلي عن اضطراب العليل واشتداد العلة لما يصيبه على اثر ذلك من الاتعالات النفسانية

واحذر من معاقبة الولد اذا تكلم بالصدق لئلا يعتصم بالكذب في المرة التالية ولا تعاقبه ما لم يرتكب ذنباً . ويجب ان يكون العقاب مجانساً للذنب . وفي اثناء ذلك يحسن ان تخاطبه بنغمة حزينة وتبين له السبب الذي من اجله استحق القصاص لكي يعرف غلظه ولا يعود اليه ومن أشد انواع العقاب تأثيراً في نفوس الاولاد منعهم من اللعب او ايقافهم في زاوية البيت او حرمانهم من النزهة او بعض الهدايا والجوائز وما شاكل ذلك واياك ان تعاقبه في ساعة الغضب او تلطمه على خده او تجذب أذنه او تجلسه في غرفة مظلمة لان هذا النوع من العقاب يضر بالصحة ضرراً شديداً . ولا يجوز ان تعاقب الولد بالقساوة عند اقل ذنب يرتكبه ازالة قفوط منه لئلا يفقد الشعور ولا يؤثر فيه القصاص او تترى بسبب ذلك جرائم الحقد والبغضاء في قلبه فينسب اليك القساوة والخشونة وتصير في عينيه عدواً ظالماً ومنتقماً لا معاداً ومهدباً

ومن الصفات المنكروهة حب الذات وهي غريزية في الانسان واشدها قوة في الاولاد ولذلك لا يسهل على المربي ان يحمل الولد على الاقلاع عنها ويجعله يفكر ويعمل لغيره لاننا

مفطورون على محبة انفسنا وقلا يعمل الانسان عملاً لغيره صغيراً كان او كبيراً ما لم يكن له منه نفع ولو شي من اللذة او المسرة

على انه لا يصعب على المربي العارف باصول التربية الحقّة ان يقوم ويعتدل هذه الصفة في الولد وذلك بانماء الصفات المضادة لها كحب الخير والشفقة والحنان وامثالها . كل هذه اذا نمت فيه تغلبت على صفة محبة الذات وتعلم الولد ان يعمل ويفكر لغيره ولو حياءً . ويجب ان يمنع الاولاد من حضور الافراح والاجتماعات في الكنائس والماراسخ لئلا تتهيج اعصابهم فيصابون بالارق في نومهم . ولا بأس اذا كانوا يترددون اليها في اواخر سني الحداثة وذلك قبل وقت النوم بساعات قليلة منعاً للارق

ويمنع الولد ايضاً عن مجالسة الزوّار ومحادثتهم لئلا يكون مثقولاً عليهم او يتبادى في البذاءة فيقاطعهم في الحديث او يكثر من كلام الفضول الى غير ذلك من الافعال التي يابها الذوق السليم وتشجيعها آداب الزيارة واصول التربية الحقّة وعلى الوالدين ان يكونوا قدوة لاولادهم في آداب الحديث والمائدة . ولا يجوز الاعتماد في ذلك على الخادمة او الخاضنة الا اذا كانت مملّة بأساليب التربية . وحينما يبلغ الولد السنة الرابعة يجلس بجانب امه الى المائدة على كرسي عالٍ ولا يسمح له بالجلوس مع الضيوف الا متى بلغ السن الذي يؤهله لذلك

وتم عادة ذميمة وهي ان الام تخوف ولدها بحكايات الجن والعفاريت ومن ايسر مضار هذه العادة ان الولد ينمو في قلبه اثر من الخوف لا يزول طول الحياة بل كثيراً ما تقضي به الحال الى الاضطرابات العقلية بسبب ما يعلق على ذهنه من آثار تلك الحكايات الخرافية التي تمثل له الوهم حقيقة . وكذلك يجب الاحتراس من تخويفه بالمناظر الغريبة الشكل والالعب التي تحدث فرقة واصواتاً عالية فجائية لما ينجم عنها من الضرر بالصحة وقد تقتل الطفل . ومن الوسائل التي يحسن اثرها في الولد ان يتعلم لكي يألف الحيوانات غير الضارة كالفيران وبعض الديدان والزيزان وان يألف الظلمة ايضاً كما يألف نور النهار حتى يتساوى الاثنان في عينيه ولا يكون ظلام الليل سبباً لخوفه

واخيراً يبلغ الولد السن الذي يخرج فيه من ايالة امه ويدخل في ايالة المعلم . ويوجد طريقة جديدة لتعليم الاولاد قبل وضعهم في المدرسة وهي الطريقة المعروفة في لغات الانرنج (بالكنند رجارتن) والمصطلح عليها في هذه الايام لتنوير ذهن الولد وتهذيب اخلاقه وعوائده وذلك باللعب والخطاب قبل الدرس في الكتب

فمن جملة أساليبها انهم يقرنون اللعب بالاغاني والحركات الجسدية التي لا تخلو من معنى
 بفيد الولد ويلذه . فبالاغاني مثلاً يقلد تغريد الطيور وبالحركات الجسدية يقلد طيرانها
 ويتعلم حروف الهجاء على قطع خشب مزينة بالصور بحيث يحفظها وتنطبع صورتها في
 ذهنه من غير خوف من المعلم وعقابه . وقس على ذلك تعلم الاعداد وتمييز الالوان بعضها من
 بعض . كل هذه يترن عليها الولد وهو يلعب وبهذه الواسطة تترقى معارفه شيئاً فشيئاً ويتنبا
 ذهنه لقبول العلوم التي تلقى عليه في المدرسة عند ما يبلغ السن الذي يؤهله لذلك . وقد ألفوا
 لما الكتب العديدة في اغلب اللغات وساروا على هذا الأسلوب الجديد في تعليم اولادهم
 فصادفوا نجاحاً عظيماً . وبالنسبة في اللغة العربية كتباً ترشد الوالدين الى كيفية التعليم على
 هذا الأسلوب الحديث فتكون لهم خير معين على تربية اولادهم وتهذيبهم قبل وضعهم في المدرسة
 وبعد ما يترن عقل الولد على الطرق التي تقدم شرحها بوضع في المدرسة ويختار من
 وضعه فيها قبل السنة السابعة من العمر لئلا تفضي به الحال وهو لم يزل رخص العقل غض
 العود الى امراض عصبية تضطره الى الاعتزال عن المدرسة وتكون سبباً لاطفاء نور حياته العلمية
 ويكفي ان يتعلم الولد اربع ساعات كل يوم حتى يبلغ السنة العاشرة من عمره . ولا يجوز
 ان يرغم على الدرس في البيت لان ساعات المدرسة كافية ولا ان يضغط المعلم عليه ويشغل
 عقله بمواضيع مختلفة لا قبل له على تحملها لئلا تخط قواه العقلية والبدنية وتسلط عليه امراض
 عصبية على نحو ما سبق بيانه في موضعه

ولما كانت البنت قليلة الحركة كان الخوف على صحتها من الامراض المذكورة اكثر منه
 على الذكور . ولذلك يجب ان تروض بدنها ويعنى بصحتها كما يعنى بصحة الذكور
 ويمنع الاولاد عن القراءة على نور ضعيف لئلا يكون سبباً لقصر البصر . اما وضع
 المضاح فلا صلح ان يكون مرتفعاً عن مؤازرة العين او مائلاً الى جهة وراء ما امكن حتى لا
 تقع اشعته على الحدقة مباشرة

ويجب ان يتخلل الدرس فترات من اللعب لترويض ابدان التلامذة وشرح صدورهم
 وراحة عقولهم من عناء القراءة والحصر في المدرسة

وسواء كان الاولاد في المدرسة او في مدرسة عالية داخلية فهم في خطر من الامراض
 المعدية كالخناق والجذري والحمى القرمزية والحصبة وغيرها من العلل الخبيثة التي تنفث في
 المدارس من ازدحام التلامذة وملاصقتهم بعضهم البعض في مثل هذه الاحوال يجب ان
 تنقل المدارس منعاً لانتشار المرض

العقل والعمران

الثَّامُّ مجمع ترقية العلوم البريطاني في سوثبورت في التاسع من سبتمبر وخطب فيه رئيسه السر نورمن لكثير خطبة طنانة كان لها اعظم وقع في نفوس الانكليز جعل مدارها على منزلة العقل من عمران الامم وعلى لوم الامة الانكليزية لانها لا تعنى بالتعليم العلمي ولا تنفق عليه مثل الاميركيين والالمانيين وان ذلك سيكون علة تأخرها وسبق هاتين الامتين لها . وذكر لتأييد قوله حقائق كثيرة وادلة عديدة كما سيحيي . فترجمنا خطبته ونحن في ذلك كالساكنين الذين يجلسون حول صحفة من الفول المدمس ويتكلمون عن المآكل الفاخرة على موائد جيرانهم الاغنياء . ولكن ان انقضت هذه الخطبة بعض حكامنا او بعض اغنيائنا حتى يهتموا بامر التعليم لا يكون تعبنا في ترجمتها قد ذهب سدًى والآ فغاية ما يستفاد منها ان نرى كيف تطلب المزيد امة نحسبها في مقدمة امم الارض ونحن نقنع بالخبز والماء وتذكر مجد السلف . وهالك ترجمة الخطبة

تأثير العقل في التاريخ

ان اول فرض عليّ في هذه الليلة الاشارة الى ما اصاب امتنا وهذا المجمع بفقد السياسي العظيم الذي فقدناه منذ عهد قريب . ونحن اعضاء هذا المجمع فقدنا به رصيفاً من اعظم الرصفاء وطالباً غيوراً من طلبة العلم انالنا الشرف بقيامه رئيساً علينا . ولقد كان وهو رئيس للوزارة يعترف بما يجب للعلم وهو الذي جعل الحكومة تعترف بفضل رجاله ونفعهم للبلاد اعترافاً عاماً ولذلك كله تشاركوني في بث التعزية لعائلة لورد سلسبري كما اقرت عليها لجنة مجمعكم صباح اليوم

ولما اعتزل صديق العلم هذا رئاسة الوزراء في العام الماضي خلفه سياسي آخر بدت منه دلائل كثيرة على اهتمامه بالمباحث الفلسفية وصرح مراراً كثيرة بما يدل على انه يعرف نسبة العلم الى العمران الحديث ولذلك فحن واثقون ان ما ناله العلم من المكانة في عهد النقيذ يتعزز ويزيد في عهد خلفه الذي شرف هذا المجمع بقبوله رئاسته في العام التالي وقبوله هذا يزيد هذه الرئاسة فخراً

فيبقى لنا ان ننهي انفسنا لاسيما وان القرن العشرين الذي دخلناه سيكون اعظم من كل القرون التي سبقتة وان تاريخ العالم في الزمن الحاضر يتوقف كثير منه على تأثير القوى العقلية التي تستخدم نواميس الطبيعة وقواها ونواميس الانسان وقواه وان رجال السياسة سيضطرون

ان يزيدوا اهتماماً بالعلم والتعليم كأساسين بُنى عليهما الممالك وحارسين يذودان عن حوزها وسيدُكر القرن التاسع عشر بأنه أول قرن اعترفت فيه الامم المتشدنة بتأثير العلم فيها . وقد كان التقدم العلمي فيه عظيماً جداً حتى لم يحسر احد ان ينبيء ان عصرًا آخر من العصور التالية بنوفه في ذلك

اشار دزرائلي سنة ١٨٧٣ الى التقدم الذي تمّ الى ذلك الحين فقال . " ما اعظم ماتمّ في الخمسين سنة الاخيرة فان هذه المدة تفوق كل مدة تماثلها في تاريخ الانسان بما تمّ فيها من عظام الامور . ولست موجهاً فكري الآن الى قيام الممالك وسقوطها وانقلاب الدول وتأسيس الحكومات بل الى تلك النتائج العلمية التي اثمرت اكثر من كل الاسباب السياسية وغيرت احوال الناس وستغير مستقبلهم اكثر من كل الفتوحات والقوانين والشرائع " ومن المحقق انه ينتج عن تقدم العلوم وتأخرها نتائج عديدة بالنسبة الى حياة الامة ومن هذه النتائج ان التأخر الصناعي والتجاري يكون على نسبة اهمال التربية العلمية

واول من اشار الى ذلك ابو ملكنا الحالي لما جاءنا من مدرسة بن الجامعة ومن ثمّ ألفت اللجنة المنسوبة اليه فكانت سبباً في انشاء مدرسة انكيميا التي صارت بعدئذ ادارة العلم والصناعة ومن ذلك الحين الى الآن وتحذير علمائنا يزيد شدة سنة فسنة . ولم يقتصر الامر على ذلك لان ليس المسألة متوقفة على ما تصنعه البلاد في القرن الواحد بالنسبة الى ما تصنعه في قرن آخر بل ان بث الحياة العلمية ومعرفة طرق الانتفاع بقوى الطبيعة لها في تقدم الامم وتأخرها شأن اعظم وتأثير اشدّ ممّا يظنّ عادة

ولا شبهة في ان بريطانيا استفادت من تقدم العلم في اواسط القرن الماضي اكثر مما استفاد غيرها لانها كانت تمتلك انفع الخيرات الطبيعية والزمها للصناعة اي الفحم الحجري والحديد فان استخدامهما لعمل الآلات والادوات جعلها اغني بلدان المسكونة وصيرها مقراً للاختراع وتاجاً له وداراً للصناعة والمصنوعات كما قال عنها المستر كارنجي . ولما كنا اعظم الصانعين للمصنوعات واعظم المصدرين لكل نوع منها صرنا بواسطة سفننا اكبر اصحاب المتاجر ولذلك استتبّت لنا السيادة على البحار

واول تغيير عظيم نتج عن استخدام النظريات العلمية كان في طرق استخراج المواد ونقلها فلما فتحت المناجم في البلدان الاخرى وصُنعت فيها الآلات وسهلت وسائل النقل ورخصت ضعف شأننا الذي كان قائماً باستعمالنا خيرات الارض قبل غيرنا . والعلم الذي لا يعرف له وطنًا بل هو مشاع للجميع اشرك الناس بزاياده فجاب التجار كل بلد وجلبوا كل نقيس نافع ولذلك

فاول نتيجة عظيمة نتجت عن تقدم العلوم ان قلت سيادة بريطانيا المبنية على استعمالنا خيرات ارضنا وكانت هذه الخيرات مصدر غنانا وقوتنا بين الامم وقد زاد الخطب لان حكامنا واساتذة مدارسنا كانوا عمياناً يقودون عمياناً حين تقوّضت دعائم سيادتنا المبنية على ما لدينا من الخيرات الطبيعية وأهملت قوانا العقلية مع ان ترقيتها في يدنا

اما جمهور الساسة عندنا فقلما يعلمون شيئاً عن مقدار ما للعلم من الشأن في ترقية امور الناس في هذا العصر وعن الاساس الحقيقي الذي تبنى عليه مصالح الامم ولذلك يحسبون ان لا شأن الا للامور السياسية والمالية . ولسنا الان احسن مما كنا قبلاً فلما قامت المناظرة في اقتراح المستر تشمبرلين لم يكذب كرشى عن تأثير العلم في الاسعار بل نسب كل تغير فيها الى وضع الرسوم او عدم وضعها على بعض السلع ولم يخطر على بال المتناظرين ان اسعار الخنطة لم تهبط الا بعد الغاء رسوم الجبوب بثلاثين سنة او اربعين . وعندهم ان المخترعات الجديدة والسكك الحديدية والسفن البخارية امور طفيفة لا يعابها وان ثروة الامم تثقف على شعار رجال السياسة هل التجارة معفاة من الرسوم او غير معفاة منها

ونعلم الان مما حدث في بلدان اخرى انه لو كان زراؤنا اعلم مما هم واحكم وكانت مدارسنا الجامعة اكثر تمماً هي واكفى لارتقت قوانا العقلية بالتعليم والتدريب وذلك بادخال العلوم الى المدارس وتعليمها بالامتحان والملاحظة والبحث لا بالمطالعة في الكتب . وإهمالنا ذلك هو الذي القانا وراء سائر الامم في استخدام العلم للصناعة حتى صارت تطبيقاتنا العلمية على الصناعة اقل اهمية مما كانت . وهذا ليس كل ما خسرناه بل خسرننا تقوية الحياة الامية الناتجة عن بث الذوق العلمي بين كل طبقات الامة واستخدام الاساليب العلمية في كل اعمالها . وكثيرون من اولي الامر يبنوا يعرفون قليلاً من العلم ولا يهتمون به مطلقاً لاننا لم نتعلم انه يجب على الحكومة ان تنظم جيوشها للسلم كما تنظمها للحرب وان المدارس ضرورية لخير البلاد كالبوارج والقبائل ولا بد من ان تنظم وينفق عليها مثلها

وغرض هذا المجمع على ما صرح به منشؤه منذ اثنتين وسبعين سنة هو " تقوية البحث العلمي وتدريبه حتى يزيد انتظاماً وتقرب الصلات بين المشتغلين بالعلم في جهات الامبراطورية البريطانية وبينهم وبين غيرهم من العلماء الاجانب وتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم "

وسلفائنا في هذا المنصب الذي اوليتوني الشرف بوضعي فيه بحثوا في القسم الاول من

غرض هذا المجمع فاجادوا وافادوا والآن ارى انه يجب عليّ ان اخالف خطتهم واحصر بحجتي في القسم الاخير لانه ان لم تستخدم الوسائل "لتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ولتزعج الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم" تعذرت علينا مناظرة الامم التي تعتمد على العلم أكثر مما تعتمد نحن عليه

الجهاد بين امم العصر

قال هكسلي منذ سنوات في البحث عن علاقة التعليم العلمي بالمعامل الصناعية اننا اصبحنا مضطرين الى الجهاد لاجل حفظ كياننا الجهاد الذي لا يسلم منه الا من كان اصلح من غيره للبقاء وهذا جهاد بين الامم المنتظمة بعضها مع بعض لابين افرادها جهاد يقوم فيه العلم والعقل مقام السيف والقوة الوحشية اللذين توقف عليهما تاريخ الامم وكيانها حتى الآن . وميدان هذا الجهاد المدارس الابتدائية والمدارس الكلية والمعامل الكيماوية والمعامل الصناعية ولكن ان كان هذا صحيحاً فصنائعنا لا تستطيع ان ترتقي وحدها لان العقل لا يمكن ان يقتصر على المعامل ان كانت الامم الاخرى تستعمله في كل اعمالها واجراءاتها

والمسألة هامة جداً لانها تستدعي تغييراً عظيماً . تستدعي ان نضع اساساً جديداً نثبت عليه الامبراطورية البريطانية بسبب الاحوال الجديدة التي طرأت على المسكونة . وانا واثق ان النداء الذي نادانا به ولي العهد وهو "استيقظوا" يجب ان ينادى به رجال الحكومة كما ينادى به ارباب الاعمال

والذي نحتاج اليه هو ان تنتظم قوى الامة كلها لكي تستطيع ان تقابل المطالب الجديدة التي يدعوننا اليها نقدم العلوم مضافاً اليه ازدياد السكان وسائر الفواعل التي تبني عليها المزاحمة بين الامم . وهذا الامر يشمل كل وزير وكل نظارة من نظارات الحكومة بل يشمل الامة كلها ملكها واعيانها وعوامها فانه يجب عليهم كلهم ان يرقوا التعليم العلمي الى درجة تؤهل الامة لمقابلة المستقبل مهما كان . ويخطئ من يظن ان العلم لازم لترقية الصنائع فقط . وان ظن احد ان بريطانيا مقصرة في تعليم صنّاعها فقط وان رجال حكومتها نائلون من المعارف العلمية والفكرية العقلية ما يكفي لما تستدعيه احوال الزمان بعد ان انتشرت فيه العلوم فليراجع تقرير اللجنة الملكية التي أقيمت للبحث عن الحرب في جنوب افريقية فانه يجد هناك ان الاسلوب الذي جربنا عليه في تلك الحرب غير صالح لما تستدعيه احوال جيش أنشئ لنستطيع محاربة غيرنا به . وليقرأ ايضاً خطبة رئيس الجمعية الكيماوية الصناعية وما فيها من وصف الاساليب الفعالة التي لجأت اليها غُرف التجارة وممثان وخمسون الف عامل لكي يوضع قانون الامتيازات

الصناعية على صورة يمكن العمل بها رغمًا عن مستشاري ديوان التجارة وموظفيه . وقلَّ من يعلم مقدار المسائل العلمية التي تحتاج الحكومة الى حلها لان الامة كلها بمثابة معمل صناعي . واذا صار حكمًا منا وقضائنا ومديرونا ورجال التنفيذ فينا من المتعلمين المتنورين واذا بطلت الاساليب التقليدية الاختبارية وأبدلت بالاساليب العلمية الدقيقة صرنا كفاً لمناظرة غيرنا من الامم من كل وجه ادياً ومادياً

ومن البين ان قوة الامة في الحرب قائمة بجيوشها وبوارجها واسلحتها واما قوتها في السلم ومناظرة غيرها من الامم فليست كذلك بل تعتمد فيها على اشياء أخرى فاذا وطئت نفسها على الفوز في الحرب وجب ان تكون اقوى من خصمتها بجيوشها وبوارجها وكذلك اذا وطئت نفسها على الفوز في حروب السلم وجب ان تكون اقوى من غيرها في مدارسها وادارتها العلمية وكل ما يزيد القوى العقلية

لقد خسرت صناعتنا وتجارتنا في المناظرة الحاضرة

ان حالة الامة من حيث صناعتها وتجارتها معروفة جيداً لدى وزرائنا كما هي معروفة عندكم وعندى وحسبي ان اشير الى ما جاء في خطبتين الواحدة للورد روزبري والاخرى للمستر تشمبرلين . قال لورد روزبري

”ان الحرب التي اخشاها هي الحرب التجارية التي أثّرت علينا . وحينما التفت الى ما حولي لا يمكنني الا وارى انه ان استطعنا ان ننبئ بشيء مما يحدث في القرن العشرين الذي دخلنا فيه فذلك الشيء هو المناظرة التجارية الشديدة بين الامم . فقد كنا اول امة في هذا العصر اكتشفت ان التجارة لازمة لحياة الامم ولذلك اطلق علينا لقب ”اصحاب المخازن“ . اما الان فصارت كل امة تود ان تكون من اصحاب المخازن . واذا معنا النظر في احوال البعض من هذه الامم وفي مقدار استعدادهم وما فيه من الدربة رأينا انه يجب علينا ان لا نخاف بل ان نمنطق احقاً ناستعداداً لما هو امامنا“

وقال المستر تشمبرلين ”لا حاجة بي ان اقول شيئاً عن لزوم التربية العلمية . ولا ابالغ اذا قلت ان كيان هذه الامة كامة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجارية او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعله الآن في بداءة هذا القرن“

ويشار بهذا كله الى صناعتنا وتجارتنا . وقد قصرنا لان التجارة لم تعد تتبع الرايات بل صارت تتبع العقول واصحاب معاملنا لا يهتمون بالحصول على ذوي العقول . ان احد المعامل الالمانية

التي تصنع المواد الكيماوية استخدم في السنوات الاخيرة اربع مئة عالم من الذين نالوا رتبة دكتور في العلم من اعلى مدارس المانيا الجامعة . وفي الولايات الاميركية المتحدة يُخْطَفُ التلامذة النابغون في المدارس الجامعة خطفًا حالما يتمون دروسهم لكي يُسْتخدَمُوا في ادارة الاعمال الكبيرة حتى شاع ان الشباب شعار النجاح في المعامل الاميركية . والحقيقة ان المعامل الاميركية لا تفتش عن الشبان بل عن المتعلمين ولما كان المتعلمون العلوم الحديثة شبانًا صارت تفتش عنهم لتولهم ادارتها . فالذي يؤهلهم لذلك ليس صغر سنهم بل الثقل في تعليمهم . اما نحن في البلاد الانكليزية فنفضل دافع الرسم على المتعلم ولا نزال نجري على الاساليب الاخبارية التقليدية القديمة ونفضلها على الاساليب العلمية الحديثة وسبب ذلك في الغالب جهل رؤساء المعامل

واني اقصر سيفي ما يجب عليّ اذا لم اشر الى قصورنا الذي ذكره لورد روزبري والمستر ثمبرلين وخافا من عواقبه وابتين انه ليس الامر الوحيد الذي يجب الالتفات اليه فان الشاغل الذي يشغل بالنا ليس مقتصرًا على صناعتنا بل هو شامل حياتنا كلها كاملة لان العلم يجب ان يُحصَل لذاته ولان حياة الامة سواء كانت من حيث صناعتها وتجارتها او من حيث سائر اغراضها وملابساتها تتوقف على شيوع الروح العلمية فيها

الحاجة الى مجمع يدير نظام العلم

ان الانتباه الحاضر الى حاجات الامة نتج أكثره عن تحريض رجال العلم . ولكن الصورة التي صور بها المستر بلفور حالة التعليم عندنا في خطبته التي تلاها في منشستر تدل على ان كل تحريض رجال العلم منذ خمسين سنة الى الآن لم يكن كافيًا . ثم اذا ثبت ما قلته من ان سائر اداراتنا تحتاج الى الاصلاح كما تحتاج اليه ادارتنا العلمية واذا شاء رجال العلم ان يقوموا بما يجب على ابناء الوطن نحو وطنهم واهتماموا باصلاح شؤونهم وجب علينا ان نبحث عن سبب الاغضاء عن تحريض رجال العلم في الماضي لئلا يكون ناتجًا عن الصورة التي جاء التحريض فيها لما خطب لورد روزبري امام غرفة التجارة الخطبة التي اقتبست منها العبارة المذكورة آنفًا قال ان الجماعات التي مثل اعضاء تلك الغرفة لا تفعل ما ينتظر منها . ولكن ان كان التجار يلامون لانهم لا يستعملون كل القوة التي يخولهم اياها نظامهم فكيف يكون شأننا نحن رجال العلم وليس لنا اقل انتظام

وفي رأيي ان هذا هو السبب الحقيقي الذي يضعف رجال العلم ولا يجعل لهم صوتًا نسمعه الامة او تبالي به الحكومة . والان ان طلب احد منّا شيئًا فانما يطلبه من تلقاء نفسه

منفرداً لان ليس للعلم عندنا صوت عام في اكثر مسائل الامة وليس في البلاد جماعة منتظمة
تتكلم بلسان اهل العلم

وقد فكرت في هذا الموضوع مدة سنين كثيرة فوجدت انه يجب ان نصرف همنا الاول
الى تنظيم جماعة من رجال العلم المهتمين بشؤونهم مثل الجماعات التي تهتم بسائر الاعمال. وحدثت
في السنوات الاخيرة بتأليف مجلس مثل مجالس التجارة او عزوة او عصبة يكون اعضاؤها
كثراً جداً نقوم بما احسبُه لازماً لنا اشد اللزوم. ومنذ عهد قريب اخذت اضع نظاماً لهذا
المجلس او هذه العصبة فوجدت اني سبقت الى ذلك والذي سبقتني هو منشي مجمع ترقية العلوم
البريطاني هذا

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قلت في اول خطبتي ان من اول اغراض منشيء هذا المجمع "تعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية
ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم"
ويمكن ان يهتأكل من انضم الى هذا المجمع من اول انشائه الى الآن بان المجمع قام
بكل الاغراض الاخرى التي انشئ لاجلها خير قيام. ولكنني ارى ان الغرض الذي اشرت
اليه آنفاً قد أهمل تمام الاهمال واني اقول ذلك بناءً على ما اخبرته بنفسه مدة اربعين سنة
عرفت فيها احوال هذا المجمع

ويظهر من تاريخ المجمع في اول نشأته ان الغرض الذي اشرت اليه كان له شأن كبير
في اذهان مؤسسيه. ومهما يكن من ذلك فاني ابين لكم كيف ان المجمع موافق للتأثير في
الجمهور والجمهور يؤثر في الحكومة اذا كانت تنقاد اليه وذلك اولاً ان موضوعه غير مقتصر
على فرع واحد او فروع محدودة من العلم. ثانياً ان عدد اعضائه كثير جداً يشمل قادة العلم
ومحبيه على تنوع فروعهم ولذلك فاللجان التي تولف منه تكون قوية جداً. ثالثاً انه يعقد اجتماعاً
كل سنة في الوقت الذي يسهل فيه الاجتماع والبحث على الناس والنشر على الجرائد. رابعاً
يسهل عليه ترغيب الانصار وانتشار اللجان المحلية في اماكن مختلفة هنا وفي سائر بلدان السلطنة
عبر البحار لان محل الاجتماع يتغير من سنة الى اخرى وليس محصوراً في هذه الجزائر
فعندنا اذاً مجلس علمي مستعد للنظر في كل المسائل العلمية التي تهتم الامة وهو آلة فعالة
في كل المجالس واللجان المعدة للبحث في المسائل المحلية التي تزيد اهميتها يوماً

وافاض الخطيب في وصف مجمع ترقية العلوم البريطاني وما سيكون له من الشأن الكبير
اذا انضمت الجمعيات العلمية اليه حتى بلغ اعضاؤه خمس مئة الف نفس واشتغل على مدار

السنة بدلاً من ان يشتغل اسبوعاً واحداً منها ويصدأ في بقيتها لقلة الشغل . واهتم بمصالح الامبراطورية الانكليزية علمية كانت او غير علمية . وانذر بسوء المصير اذا لم يفعل ذلك او لم ينشأ جمع آخر يعمل هذا العمل . ويجب ان يكون اول اعماله انشاء المدارس الجامعة لتخريج الطلبة في العلوم العالية واستشهد بما قاله المستر تشمبرلين في شهر نوفمبر الماضي وهو

” لا يستطيع كل احد ان يتعلم العلوم العالية ولكن من الذين يتعلمون هذه العلوم ننتظر الرجال الذين يرفعون راية هذه البلاد في مناظرتنا التجارية والعلمية والمالية مع الامم الاخرى . ولا شيء اهم لنا الان من سد الخلل الذي يفرق بيننا وبين مناظرينا الادنيين في المانيا واميركا وكندا واستراليا حيث تنفق الحكومات على التعليم العالي اكثر مما تنفق نحن . واود ان ارى الزمن الذي لا يعطى فيه منصب لاحد في ادارة معمل او مصنع او بيت تجاري ما لم ير الادلة الكافية على انه تأهل لذلك المنصب في مدرسة جامعة . ما هو قوام المملكة . قد تقولون ان قوامها اخلاق شعبيها بنوع عام عقلم وعزمهم وحزمهم ونحو ذلك من الاخلاق الفاضلة نعم ولكن هذا ليس كل ما تقوم به الامم والممالك العظيمة ولا هو قوام عظمتها وانما قوام عظمتها رجالها العظام . هؤلاء يجب ان نعلمهم يجب ان نفتش عنهم ولو في اوطال الدرجات لكي يرتقوا الى اعلاها فيحفظوا كيان امتنا . ولذلك لا تستغربوا اذا قلت لكم انه حان للحكومة ان تزيد اهتمامها بامر التعليم العالي وتزيد اتفاقاً عليه “

وذكر بعد ذلك كلام المستر بفور الذي اثبت فيه ان المدارس الانكليزية الجامعة لا تعلم الآن العلوم التي تقتضيها احوال الزمان وانه لا بد من اصلاحها حتى يحفظ بها شأن الامة الانكليزية كما تحفظ بلدانها بواسطة بوارجها . وعاد الخطيب الى تبين ما في المدارس الانكليزية الجامعة من التقصير وقال ان عندنا ١٣ مدرسة جامعة وعند اهالي الولايات المتحدة الاميركية ١٣٤ مدرسة جامعة . وعند الالمانيين ٣٢ مدرسة جامعة تنفق عليها الحكومة الالمانية وهي تنفق على مدرسة واحدة من هذه المدارس اكثر مما تنفق الحكومة الانكليزية على كل مدارسها الجامعة والكلية في انكلترا وارلندا واسكتلندا وويلس . ولم ينفق الشعب الانكليزي على مدارس الكلية منذ ستين سنة الى الآن اكثر من اربعة ملايين جنيه مليون منها على انشاء المدارس ومليونين ينفق ريعها السنوي على التعليم فيها . اما الشعب الاميركي فانفق في غضون السنوات الاخيرة على المدارس الكلية والجامعة اربعين مليون جنيه وقد انفق سبعة ملايين من الجنيهات بين سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وانفقت حكومة المانيا على بناء مدرسة ستراسبرج وحدها مليون جنيه وذلك يزيد عما

انفق الشعب الانكليزي على بناء المدارس في منشستر ولشبوتل وبرمنهام ونيوكسل وشفيلد. وكل ما تنفقه الحكومة الانكليزية سنوياً على مدارسها الكلية والجامعة يبلغ ١٥٥٦٠٠ جنيه فقط واما الحكومة الالمانية فتنفق على مدرسة برلين وحدها نحو ١٧٠٠٠٠ في السنة وبعد ان افاض في هذا الموضوع بين ان الحكومة الانكليزية تنفق ١٣ مليون جنيه في السنة على التعليم الابتدائي ولكنها لا تنفق شيئاً يذكر على التعليم العالي مع انها انفقت على بوارجها ١٢٠ مليون جنيه ولا تزال تنفق الملايين الكثيرة عليها. ثم قال ان انكلترا دون اميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا في عدد مدارسها الجامعة واقتصرت على مضاهاة انكلترا بالمانيا المناظرة الكبرى لها الآن في التجارة فقال انه يجب ان ينشأ في البلاد الانكليزية ثماني مدارس جامعة جديدة لكي تصبح نسبتها فيها مثل نسبتها في المانيا وانه يجب على الحكومة ان تنفق على انشاء هذه المدارس ثمانية ملايين من الجنيهات وتساعد كل مدرسة منها بخمسين الف جنيه سنوياً اي تساعد كلها باربع مئة الف جنيه في السنة على الافل

ثم قال ان مدرسة اكسفورد وحدها تحتاج الى ثلاثة ملايين من الجنيهات لكي تصبح مثل المدارس الجامعة المناظرة لها. ولا تستكثر هذه المبالغ ولا اضعافها على الامة الانكليزية التي قدرت ثروتها منذ عامين بستة عشر الف مليون جنيه ولا عجب اذا استخدمت ملايين قليلة منها لحفظ باقيها وانماؤها. والدولة التي تنفق ١٢٠ مليون جنيه على بناء بوارجها الحربية لا يكثر عليها ان تنفق ثمانية ملايين جنيه على بناء ثماني مدارس جامعة. ثم ان النفقات السنوية ليست شيئاً بالنسبة الى ما تنفقه الدول المناظرة لانكلترا على مدارسها الجامعة فان فرنسا تنفق على مدرسة باريس الجامعة وحدها ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

وعاد بعد هذا البيان الى فائدة المدارس الجامعة وما يقوم فيها من البحث العلمي واستطرد الى لزوم مجلس علي عمومي يهتم بمصالح الامة كلها وتعتمد عليه الحكومة في حل المشاكل التي يقتضي حلها بحثاً علمياً. وقال في الختام ان المصاعب التي تحول دون اتمام هذه الاغراض يسهل التغلب عليها كلها باليد القوية والمال الكثير

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية هذه الخطبة بالاطراء ونشرتها جريدة التيمس برومتها وانشأت عليها مقالة افتتاحية عقب فيها على الخطيب لانه علق النجاح كله على التربية العلمية ولم يعلق منه شيئاً على التربية الصحية والادبية لكنها اطنبت في مدح خطبته وقالت انها بحكمة الادلة وان اجتماع هذا المجمع في سوثيرت سيذكرها بمدى الايام وان الحكومة لابد من ان تهتم بما جاء فيها وتفعل بعضه ان لم تستطع فعله كله

باب المناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم ونصحاً للآذان .
ولكن الهدى في ما يدرج فيه على اصحابه فينحى برأيه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في
الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظرك نظيرك (٢) انما
الفرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمها كان المعترف باغلاطه اعظم
(٣) خير الكلام ما قل ودل . فالملالات الوافية مع الامحاز تستغار على المطولة

بيان

انتقد " احد القراء " في العدد السابق قولي في قصيدي التي عنوانها " مصرع ملك "
عن الملكة دراجا انها كانت خادماً وأنه نما في البلاد السربية حزب أنوف لم يشأ ان يسود
الخدما فقال ان مدام دراجا لم تكن خادماً بل كانت عند ام الملك اسكندر وهي ملكة
السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيه لما كان ملك السرب . وجوابي على ذلك انها كانت
وصيفة من وصائف أمه كما ذكر ذلك المقتطف في الصفحة ٥٤١ ولا يخفى ان المراد من ذلك
انها كانت في جملة الحاشية والاستخدام لفظة بنطوي تحتها هذا المعنى لانها تعم كل موظف
ومن خدم شخصاً فقد عمل له كما في القاموس . ثم قال حضرة المنتقد ان نسب الملك اسكندر
ليس ارفع من نسب الملكة دراجا وان الحزب الذي اغناها لم ينقم عليها لان نسبها احط من
نسب زوجها . والجواب عليه ما ورد في الصفحة ٥٣٨ من المقتطف اذ جاء فيه " ان الملك
اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبه في استعمال حقوقه الشخصية كقترانه بامرأة
عالم من بيت وضع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فتغيرت بذلك قلوب رعيته "
أفلا يرى قارئ هذه الفقرة ان الحزب الذي اغناها لم ينقم عليها لانها ذات نسب وضع على
انني لم اجعل في قصيدي ذلك السبب هو الوحيد الذي اوجب تلك التهمة بل شفعتها ببعض
الاسباب الاخرى التي منها ان تلك الملكة ارادت ان يرث اخوها تاج الملك من غير حق له
في الارث كما يتبين ذلك في قولي

ثم قامت تريد أن تهب التاج أخاها تحكماً واعناء

وان الملك استضعف شعبه واستبد برعيته فتباعدت القلوب عنه ونفر ذلك الحزب

وغيره منه ولذلك

قال هبوا بنا فقد آن ان يضع ف ملك يظنكم ضعفاء
علموا المستبد أن الرايا تحسب الناس والملك سوءا

ومن الجلي ان في هذين البيتين اشارة الى ان ذلك الملك نكث العهد وحنت يمينه التي
حلفها لشعبه فاقف الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى وطره ثم اعاده والخلاصة ان
الخدم هنا بمعنى الوصيفة وان في جملة اسباب نفور الشعب من الملكة نسبها للوضع ولم يبال
الشعب بان جد الملك اسكندر كان مقتني خنازير بل هو عرف ملكه ملكا وعرف والده قبله
فلا يريد ان يذكر الآن جد قره جورج الذي كان من عامة الناس . والملك اسكندر
لوعصى هواه واطاع شعبه فلم يتزوج بوصيفة امه لما اصابتهما تلك النكبة
القاهرة
نقولا رزق الله

الحق والخلق

(زاد حضرة منصور افندي الشريف على سواه عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى
وكيف خلق الخلق المدرج في مقتطف اغسطس الماضي ما يأتي)

وهل كل ما له صورة فهو محدود وكل محدود فهو حادث وكل حادث فلا بد له من اصل
حادث منه وكل حادث فهو فان وكل فان فاما يفنى بصورته ويرجع بذاته الى اصله كالكليات
والحيوان فان كان لاصل صورة فهو فرع لاصل واصل لفرع كالانراب فهو فرع للماء قد تكون
من زبد كما تكونت الزبد من اللبن وكالماء تكون من الهباء وكلاهما اصل للنبات والحيوان
كذلك الهباء فرع منبت باجزائه الفردية من صورة النور الاول وهي اصل لصور الارواح
ومراتب الاشباح وفرع منبسط من اصل ليس له في نفسه صورة وهو غير محدود وهو الروح
الكلية وهو الوجود المطلق وهو الحياة فحياته عين روحه وروحه عين ذاته وهو نور فلا يجبو
ولطيف فلا يتكدر وأحد فلا يتجزأ فهو واجب الوجود لذاته وقيوم بها وهو اصل الاصول تصدر
عنه الحوادث بالانبساط فلا تنقص ذاته وترجع اليه بالانقباض فلا تزيد

(ثم قال) : وقد طرحته بالجرائد والمجلات العلمية لعل بصيرا من العلماء يتفضل بالاجابة
فتظهر بالدليل الصحيح والقول الرجح وانتظرتها بضع شهور فلم تحصل واختلف الناس فيه فمنهم
من فهمه جوابا في سؤال واكتفى به بيانا للحقيقة بالاجمال ومنهم من فهمه كذلك ولكنه
طلب التفصيل تقريرا للحق وارشادا للخلق ومنهم من لم يفهم منه شيئا فكف عن الطلب وليس
اختلاف الفهم باختلاف المفهوم وانما هو بتفاوت الاستعداد

فهم الشريعة الربانية فهم لاصلها وفرعها فاصلها العلم بوجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق وفرعها العلم بالعبادات والمعاملات فهم الفرع فيه العال والوسط والدون وكل نوع على درجات شتى لا تخرج عنه وفهم الاصل ليس فيه وسط وانما هو دائر بين تحقيق لني وولي وتقليد لمجتهد وطالب وخابط فاذا اوتي المقلد فهماً ذكياً وهدىً ربانياً خرج من التقليد الى التحقيق كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا يشمل الهدى الا من كان ذكياً ولا يستقل بالذكي بالبحث عن الاصل فان استقل ضل فلا يصل الى التحقيق ولا يرضى بالرجوع الى التقليد فيسمي نفسه متنوراً وليس هو من النور في شيء بل حاد عن سبيل الرشاد (ومن يضل الله فما له من هاد)

فاذا نقرر عندك ايها السائل ما تقدم فاعلم ان الجواب التفصيلي لذلك هو الرسالة الخامسة في الحق والخلق من جملة رسائل الاثنتي عشرة المطبوعة والمتداولة في ارشاد الافكار الى طريق الابرار فاطلبه من مخلاته وادخل فيه بصيراً تغنم وتحقق به تسلم

المعتمد على ربه

منصور الشريف

أفيد كتاب في التربية

للفيلسوف الكبير هربرت سبنسر الانكليزي

أبشر قراء العربية في جميع البلاد بانني عربت هذا الكتاب النفيس الذي لم ينشر مثله بين الناطقين بالضاد ويكفي للدلالة على فائدته القول بانهُ مترجم الى جميع لغات المتمدنين . والكتاب مقسوم الى اربعة فصول . الفصل الاول يبحث في اي العلوم انفع للانسان . والثاني في التربية العقلية . والثالث في التربية الادبية . والرابع في التربية الجسمية . وسأشرع في طبعه حالاً لكي انشره قبل نهاية سنة ١٩٠٣ وقد اذن لي بترجمته ونشره في مصر وسوريا مؤلفه كبير فلاسفة هذا العصر بحر العلوم الزاخر هربرت سبنسر واصبحت صاحب الحق الوحيد في ذلك بناءً على اتفاق خصوصي . وفقنا الله الى ما فيه خير الاوطان ونشر العلوم والعرفان

نجيب شقرا الحامي

مصر في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٣

صاحب مجلة الاستقلال

رد على رد

اطلعت على الرد الطويل المبوب الذي اتجهنا به حضرة صاحب "منزلة الشعر من التاريخ" فاسفت لانني فتحت باب هذه المناظرة فادت الى ما كنت اود الهرب منه لضيق الوقت وكثرة المهام

ولا يخفى ان الاشعار التي استشهد بها صاحب منزلة الشعر قيلت كلها او اكثرها في نحو قرن واحد او اقل من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع لميلاد اي بعد ان انقضي عمران بابل واشور وفينيقية ومصر وحمير واليونان وكاد ينقضي عمران الرومان. او بعد ان نشأ العمران واستفحل حول العرب شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في كل الجهات المسكونة وكان يجب ان يرشح اليهم شيء كثير منه لانهم كانوا اصحاب تجارة وقوافل منذ امد بعيد. ولذلك لا ينوء بقدرهم الا اذا وجد عندهم كثير من مقومات الحضارة التي انتشر روافقها حول جزيرتهم مدة ثلاثة آلاف سنة قبل ان قام الشعراء الذين استشهد باشعارهم. فاذا بحث باحث في تاريخهم من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع واثبت من اشعارهم انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء والتيجان والاساور والذمالج فهو بمثابة من يبحث في تاريخ العرب والشام في القرن الماضي ويثبت من اشعار سكانهما انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء الخ. فما يثبت صحيح ولكنه ليس من المكتشفات التي يعني بها كثيراً. ولا ينكر ان الاستشهاد عليها بالشعر لا يخلو من الفائدة ولكنه ليس ممّا يستحق عندنا هذا القدر من العناية اذا اردنا تقديم الأهم على المهم. واما اذا اكتفين من الحاجيات جاز لنا الاشتغال بهذه الكماليات

ولقد استغربت اعتراض حضرة الكاتب على قولي ان العرب لا بد وان يستعملوا النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والا فليسوا بشراً والتجاء الى الحدود المنطقية في بحث تاريخي مدلوله ظاهر وهو شدة الاستغراب من عدم استعمال العرب للنقود. وقد عجب حضرة ايضاً من قولي ان وزن النقود دليل ضعف العمران ولا غرابة فيه لان الامم التي رسخت في العمران قدمها بعد اكتشاف سك النقود وشيوعه صارت تعني بنقودها حتى لا تعود محتاجة الى نقدها بالميزان. وقد بقي الناس يزنون المبالغ الكبيرة وزناً بعد ائقان سك النقود ولا يزالون يزنونها وزناً الى الآن لصعوبة عد الالوف الكثيرة منها ولكنك اذا دخلت اليوم مدينة من المدن ورأيت الناس يزنون كل جنيه يقبضونه استنتجت نتيجة من نتيجتين اما ان سطوة الحكومة ضعفت حتى كثرت النقود الزیوف او ان العمران لم يبلغ في تلك المدينة الحد الذي تستعمل فيه الآلات

الديقة لسك النقود فيضطر المتعاملون ان يضيعوا وقتهم في نقدها بالميزان درهماً درهماً. هذا ولقد قرأتُ فصولاً جلية للمؤرخ المحقق جورجى افندي بينى الطرابلسي ابان فيها بالدليل القوي القاطع ان العرب كانوا قبيل ان جمعت لغتهم وكتبت لا يزالون في العصر الحجري والحاسي وبداية العصر الحديدي اي ان عمرانهم الذاتي كان في اوائله كما كان عمران مصر قبل المسيح بالنفي سنة لانهم كانوا يستعملون الطران ويقدحون النار بضرب خشبة على اخرى ويشوون لهم على الرضف وكانت اكثر آيتهم من الخشب فاشير على حضرة مناظري الاديب ان يطالع الفصول الثلاثة التي موضوعها العرب قبل التاريخ وهي مدرجة في المجلد الثالث عشر من المقتطف فيجد ان عمران العرب الذاتي لم يكن في المنزلة التي يريد ان يضعه فيها باحث مستفيد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما هم اهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التيفوس

يظن كثيرون ان التيفوس والتيفيد مرض واحد ولكن الامر ليس كذلك فان التيفويد مرض كثير الشيوخ ولا سيما حول المدن واما التيفوس فليس كذلك . والتيفوس اقل مدة من التيفويد ولكنه اكثر منها خطراً

والتيفيد تبتدى رويداً رويداً ومدة الحضانة فيها عشرة ايام على الاقل . واما التيفوس فيبتدى بسرعة وتؤخذ عدواه في يوم او يومين . ثم ان الحمى تدوم في التيفويد من ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر واما سير الحمى في التيفوس فاربعة عشر يوماً وبعدها إما الشفاء واما الموت . ويظهر في التيفويد نقط قرنفلية اللون على البطن والصدر في اليوم السابع . واما في التيفوس فتظهر مجاميع نقط حمراء توتية اللون على الاطراف والصدر في اليوم الرابع الى الثامن ولا يكون في الامعاء نقرش

والتيفوس والتيفويد مرضان مختلفان ولا اطيع الشرح في الكلام على التيفوس لانني لم اشاهد احداً ريفاً به مدة عشر سنوات مرّضت فيها المرضى . وعلمت من سيدي الوالد انه لم ير في حياته كلها الا عدداً قليلاً جداً من المصابين به
البرداء او الحمى الملاريا

لا حاجة بي الى وصف البرداء لانها اشهر كل الحميات واكثرها شيوعاً وكل احد يعلم الآن انها تكثر حيث تكثر المستنقعات ونوع من البعوض علم حديثاً انه ينقل سمها من المصاب الى السليم

وعلى الممرضة ان تراقب المصاب لترى هل تأتبه الحمى كل ليلة او كل ليلة ثانية او ثالثة او رابعة . وحياناً تكون الحمى خفيفة تطول مدتها نحو اسبوع وتشبه التيفويد ولكن سيرها ليس كسير التيفويد ولا علتها في الامعاء مثل علتها بل في الدم ومتى دخل السم في البدن عسر اخراجه منه حتى ان بعض الاوربيين الذين اصيبوا بالحمى في البلاد الافريقية الملاريا لازمتهم الحمى سنين كثيرة بعد عودتهم الى بلادهم

واقول قبل اكل الخنام انه يجب على الممرضة ان لا تمنع المحموم من شرب الماء البارد مهما كان نوع الحمى ولا تمنع وضع الماء البارد على رأسه وقت اشتداد الحمى عليه

الفصل الخامس

في الرومازم

الرومازم اوداء المفاصل يقسم عادة الى حادٍ ومزمنٍ عضلي ومفصلي . وقد يكون وراثياً او مكتسباً . وهو يحدث من رطوبة الفراش والبيت والبلد

والرومازم الحاد هو حمى روماتزمية فيعترى المصاب حمى شديدة وآلم شديد وتيبس في كل مفاصله كركبتيه وعقبه ومرقبه ورسغيه وتلتب هذه المفاصل وتصلب لينة تحت المس . فنرى الرجال الاشداء اصحاب الجلد الشديد يصرخون متألين اذا تحركوا في فرشهم اولسوا . ولذلك لا بد من بذل العناية في تريضهم حتى يقل الملم على قدر الامكان . وهم في الغالب شديدو التهيج عسرو التدبير يصيبهم في الليل نوع من الهذيان . وكما زاد الملم قات حيلتهم وعسر على الممرضة تريضهم

كم من مرة رأيت المصاب بهذا الداء يؤتى به الى المستشفى محمولا وراءه امه او زوجته ووجهها شاحب وهو يبئن متألماً فتأتيه ممرضتان بشوشتا الوجه فتستمانه باللطف والتؤدة وترفعانه

الى فراشه وتنزعان ثيابه الوسخة التي تفوح منها رائحة عرقه الحامض . وحموضة العرق من مزايـا الروماتزم . ثم تغسلانه وتدهنان مفاصله بدهان وتلفانها بلقائف من القطن وتربطانها ربطاً غير شديد فيتغير حال المريض ويشكر الممرضتين

ويتعذر عليّ ان اصف بالقلم كيف يجب على الممرضة ان تعامل المصاب بالروماتزم حتى لا يتألم من تحريكه ولسه لان ذلك لا يُعلم الا بعد الممارسة الطويلة ولكن لا بأس بايراد الارشادات التالية وهي : —

يجب ان لا تُرفع يد المصاب بمسكها من الاعلى بل من الاسفل واذا أُريد رفع رجله نضع يد تحت كعبها ويد تحت ركبته ثم ترفع بهما . وتستريح الذراع بوضع وسادة لينه تحتها وتستريح الرجلان بوضع كيسين طويلين طول كل منهما ذراع وعرضه خمس اصابع يملآن رملاً ويوضعان على جانبي الساق لكي يمنعاها عن الحركة ويسنداها

ولا خوف من غسل المريض بالماء والصابون لان العرق الحامض الذي يعرفه كربه الرائحة يؤذيه ويقلقه . والممرضة التي اتبعت ارشادي وصارت تعلم كيف تغسل المصاب بالتيفويد لا بتعذر عليها تريض المصاب بالروماتزم . ولا بد من تدفئة المصاب بالروماتزم فتلّف مفاصله بالظن ويلبس الفلانلاً على بدنه ويعطى باحزمة من الصوف لانه يعرق كثيراً والعرق لا يخفف الملم ولا يزيل الحمى

وما دامت الحمى يكون طعامه من اللبن ومرق الفراخ او الليموناضة او ماء الشعير ومشي بالغ درجة النقع يطعم السمك والفراخ ولحم الضأن شواءً ويسقى قليلاً من الخمر الحمراء ولكن لا يطعم أيضاً ولا لحم بقر

والروماتزم المزمن ينتج عن الروماتزم الحاد اذا تكرر حدوثه مراراً فانه يترك المفاصل واردة والقلب في حالة مرضية . وقد قلت سابقاً ان مرض القلب ينتج تورماً في الساقين والقدمين مع ارتشاح فيها فيكون ذلك من مضاعفات الروماتزم المزمن لانه يصيب المفاصل والجسم كله . وبمسي العليل قليل الحيلة غير قادر على الحركة . ولا يستطيع الطبيب ان يفعل شيئاً غير اعطائه الدواء الذي يقلل الملم لان شفاءه يصير ضرباً من المحال فلا يبقى الا الاعتناء به وتدئته بالصبر

اما الروماتزم المفصلي والعضلي فغاية ما يمكن ان يقال عنهما للممرضة ان الاول في المفاصل والثاني في العضلات فاذا كان في العضلات فليس فيه التهاب ظاهر ولكن يكون الملم شديداً وعميقاً ويصف الطبيب له دهاناً عدا العلاجات الدوائية فيفرك به براحة اليد لا بالاصابع

والحمام التركي ينفع في الروما ترم المزمّن وهو ميسور جداً في هذه البلاد
ويتنقل الروما ترم كثيراً لأنه ينتقل من الركبة الواحدة الى الاخرى ومن الكتف الى
المرفق ومن المرفق الى الكعب واذا كان في الظهر فعلى المصاب به ان يقيم في فراشه لأنه لا يعود
يستطيع المشي

وخير الاقاليم للروما ترم الاقليم الحار الجاف فاذا استطاع الانسان المعرض له ان يسكن
في مكان حار جاف الهواء وجب ان يسكن فيه والا فقد نتكر عليه نوبات الروما ترم حتى
يصير مزمناً . ومما يفيد فيه المكمدات الحارة واللقز فانها تخفف الالم غالباً ويفيد فيه ايضاً
وضع قبضة من كربونات الصودا في ماء الحمام حينما يراد الاستحمام فيه

شكوى الامهات من تربية البنات

نقلًا عن مجلة المنار الاسلامي

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن في هذا العصر طلب ان يعرف
رأي الامهات في بناتهن في مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى في اثر الشكوى من سوء
حال تربية البنات المتعلّات وكونهن لا يحفلن بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من
الترفهات . ولم تصادف هذه الشكوى اقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن انفسهن وقد تولى
الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما
شكوى من الامهات احداهما بامضاء "ابنة قبطية" والثانية بامضاء "ابنة شاكرة" ونحو
الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية
بتربية البنات والاعتراف بان التعليم لا يغني عن التربية شيئاً وان كان في نفسه نافعا

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات . ويحرك سواكن همم البنات . ونظر انه اذا
ثلث الكنائس . وبعثت الدفائن . وفار في الجدل التنور . وحصل ما في الصدور . فانه لا يكتب
في الجرائد شي يخرج عن معنى ما كتب الا ان تفخر بنت بأنها اصلحت من بيت ابها ما كان
فاسداً . ونظمت ما كان مخدلاً . او تفخر ام بان بنتها كذلك . وسواء كتب هذا او بقي
الفريقان متفقين على سوء تربية البنات وعلى كون الذنب في ذلك على الآباء والامهات .
فان الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بان
اكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط . والسوريات لهن اخلاق وراثية وعادات تقليدية
ليست للسوريات وان كانت هجرتهن الى مصر من زمن بعيد وتربي بناتهن في مصر وتعلمن فيها

وأما نساء القبط وبناتهن فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقنهن في بعضها .
وسافة الخلف في المتعلمات من الطائفتين أوسع فإن القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن
بجالس الرجال في زينتهن كنساء الافرنج بلا فرق فلا بد ان يكون لذلك اثر في سيرتهن
لا يعرف في المسلمات اللواتي هن أكثر اهل البلاد

ويوجد سبب آخر للخلاف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد التعليم فان
من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في مدارس الجزويت
او الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الامريكان او غيرهم ومنهن من تعلمت في
المدارس الاهلية الاسلامية او القبطية . ولكل نوع من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس
من يتعلم فيها يحدث خلفاً كبيراً في الاخلاق والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلاً في انكثرتا التي يجادلون
في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير البيوت في البنات . الامة
هنالك واحدة والمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد فاذا شكنا بعض نساء
الانكليز من تربية بناتهن فلك ان تعتبر شكرهن ميزاناً للتربية في الامة وان تقول ان ما
يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهم فاذا رأيت الشكوى من جميع الطبقات فلك
ان تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا استثنيت بعض الافراد كان ذلك
لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع افراد الامم والشذوذ فيها مطرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن ام لا فلا بد
لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المخبرين . والذي يقرب من النظر وبؤيده
الخبر ان تعلم البنات في مصر سطحي كما يقولون وانه عندهن ضرب من ضروب الزينة فهو في
الغالب يشغلن عن مساعدة امهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من تعتقد انها
ارفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية
يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكن متميزات
بمعرفة ما لا يعرفه سائر البنات من اثنان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في
بدع الزينة . ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج . والاسباب
الصحيحة للسرة والابتهاج

واما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يعسر على اصحابها موافاة رغباتهن الجديدة
التي احدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من نقص البنات في مساعدتهن

على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدينه الا لمن يسهل عليهن اطلاعه على عيوبهن . ووقوفه على مساوئهن .

اعنذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعنذر به الكاتبان صاحبتا الرسائل في المقطع بان الذنب على الوالدين لا على البنات فانهما يعلمان بناتهما الا انهما لا يربياهن وحسن الحال في المعيشة وكل اعمال الحياة يتوقف على التربية اكثر من توقفه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي اكثره فيما لا عمل فيه . اذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل وبالتربية تكون الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صوراً خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب

واقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تربية البنات المتعلات لان القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي افسدها جهل امهاتهن فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ويزيدها اعراضاً عن العمل ويبغض اليها عادات اهلها وقومها نافعة كانت او ضارة ويجب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان اعجز الوصول اليهما اباهما وامها — فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل . وبلا نازل . وان تركه واجب . ومقاومته ضربة لازب

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلات وسوء حال غير المتعلات هو — كما قيل — سوء التربية العامة او ترك التربية الصحيحة النافعة . ولكن اليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة . وفثك العادات الرديئة . اقل تأثيراً في نفس المتعلمة منه في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع والصالح والفاقد . اليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو افضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف وساوتها في ضعف الارادة والخضوع لسلطان العادة . أليس من المعقول ان يتنازع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الاصلاح المطلوب

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على اكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان اخلاق الناس في كل بلاد نعرفها ارقى من اخلاق اهل هذه البلاد كما ان عاداتهم امثل من عاداتهم . على ان التعليم هنا اكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي

فنبها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا أن أكثر الفساد لم ينتشر في أكناف هذه البلاد ويتغلل في أحشائها إلا بالتعليم فكأنهم لم يعملوا لأجل العمل الآ شرب الخمر ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة حاشا نفرًا يعدون على الانامل هم الذين أفادهم العلم وحدهم من الوف المتعلمين

السبب في هذا أن العلم الذي يعلم في المدارس المصرية — سواء كانت للحكومة أو للإجانب أو للاهليين — لم يقصد به إلى إصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصريين سعداء أعزاء فإن مثل هذا القصد لا يأتي إلا ممن يغارون على الأمة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزمهم بعزها . ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك . والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك . ومنشئو المدارس الاهلية كان يجب أن يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل اهل البصيرة في مصر وربما نشرحه في مقالة أخرى

تبين من هذا أن قلة استفادة البنات من التعليم سببها أنه لم يقصد به إصلاحهن ولا أعدادهن لإصلاح بيوتهن فإن هذا التعليم جاء من الأفرنج وزمائه بأيديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوام عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليد أعمى أم) وإنما يقصد الأفرنج جذب نساء هذه البلاد إلى النطق بلغاتهم والتزيي بأزياء نسائهم . واستحسان عادات قومهم وتعظيم شؤونهم ليقبضوا من صدور الأمة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها المالية فتكون طعمة لهم . ومن تراه انتفع بتعليمهم من ذكر واثني وصلح حاله فاعلم أن ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وثروة محمودة وتوفيق الهي امام ذلك ووراءه . والنتيجة أنه لا يرجى أن نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا ونزفني به امتنا إلا إذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهتمهم إصلاح الأمة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط إلى هذا أكثر مما وفق المسلمون . فإذا نهضت بهؤلاء المهمة إلى انشاء مدرسة كلية تناط ادارتها برجال الجمعية الخيرية الذين اثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الأمة أنهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل . والخير الآجل . والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون له إلا بعد فوت الفرصة . ووقع الغصة والامر لله العلي الكبير

[المقتطف] لقد احسن حضرة صاحب المنار في قوله أن العقل المذهب المنور يقوى أخيراً ويكون من وراء ذلك الإصلاح المطلوب ولكنه أخطأ على ما نعلم في قوله " أن العلم الذي يُعَلِّم في المدارس المصرية لم يقصد به إلى إصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصريين سعداء أعزاء " لأن نظار المدارس ومعلميها يشغفون بالتعليم والتهديب شغفًا حتى يتفانوا

في تعليم التلامذة وتهذيبهم كما يشغف كل عامل بعمله وهذا العمل بالخبرة مدة تعلمنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائزة جداً ولو اعتبر اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل النظار وكل المدرسين ولكنه شامل لاكثرهم . ولا شبهة عندنا ان اثر المدارس المصرية وطنية كانت او اجنبية حسن جداً وأنه لم يظهر حتى الآن ظهوراً باهراً لأنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولان النجاح لا يظهر جلياً لمن يراقبه عن قرب ويرى تدرج البطية ولكن لو قابل حضرته حال هذه البلاد العلمية والادبية الآن بحالها منذ عشرين سنة لرأى بين الحاليين بوناً شامعاً ورأها الآن ارقى مما كانت كثيراً وسيزيد هذا الارتفاع في العشرين سنة التالية اضعاف ما زاد في العشرين سنة الماضية

نزع آثار الحامض عن الثياب

اذا اصاب حامض ثوباً فزال لونه او غيره صب عليه قليلاً من ماء الشادر حتى يتعدل فعل الحامض به ثم ادهنه بقليل من الكلوروفورم فيعود اليه لونه الاصلي . ويصدق ذلك على كل الحوامض الا الحامض النيتريك اى ماء الفضة فإنه يتلف النسيج غالباً ولما يزول لونه عنه واذا كان النسيج ملوناً لوناً لطيفاً جداً واصابه حامض فاجبل قليلاً من الطباشير النقي بالماء وضعه على مكان الحامض ثم فته عنه بعد ما يجف

تنظيف الالبستر

اذا انسخت آية الالبستر تنظف بالبنزول او بزيت التربنتينا او توضع في لبن الجير مدة ثم تغسل بالماء النقي وتجفف وتمسح بالطباشير الناعم . او تغسل بالماء والصابون مع قليل من الصودا او الامونيا

صابون لنزع الدهن

امزج اوقية من الصابون اللين باوقية من تراب القصار في هاون حتى يمتزجا جيداً واضع قرصاً من ذلك لنزع الدهن ونحوه عن الثياب وكيفية نزع ان تبلل لطفه بالماء وتترك هذا الصابون عليها حتى يبلق بها كثير منه وتدعها حتى تجف ثم تمسحها بالماء الساخن وتنظفها باء حتى تنظف

او امزج ثمانى اواقي من الصابون باوقية من زيت التربنتينا واوقية من مرارة الثور واضع من ذلك قرصاً لنزع آثار الدهن والزيت عن الثياب

مدارس جديدة للبنات

عزمت نظارة المعارف العمومية على فتح مدرسة عالية لتعليم البنات في بولاق هذا العام . وعزم حضرات المرسلين الاميركيين على فتح مدرسة كلية داخلية لتعليم البنات العلوم العالية وابتاعوا لها ارضا فسيحة في ملك الكونت سكاكيني باشا تبلغ مساحتها ١٤ الف متر واقتدوا حضرة مس كايل رئيسة مدرسة البنات الاميركية في هذه العاصمة فجمعت الاموال الطائلة لبناء تلك المدرسة و ينتظر ان يشرعوا في بنائها قريبا

وقد اتم حضرة القس ناصر عوده رئيس المدارس الانكليزية في هذه العاصمة بناء مدرسة داخلية جديدة للبنات في قصر الدوباره تسع ٢٤ سريرا للتلميذات اللواتي يمن فيها وتسع نحو ١٥٠ تلميذة داخلية وخارجية وهي مدرسة حسنة الموقع متقنة الهندسة لطيفة الترتيب مستوفية الشروط الصحية والتنظييات المدرسية وقد جاءها بثلاث مدرسات انكليزيات من اللواتي درسن السنين الطوال في بلادهن وحزن الشهادات بانقان صناعة التدريس وجاءها بمدرسة عربية اخبرت صناعة التدريس زمانا طويلا في بيروت وفلسطين

وفتحت حضرة رئيسة المدرسة الانكليزية في حلوان مدرسة داخلية للبنات اللواتي يشأن ان يدرسن ويأكلن وينمن فيها وعزمت على توسيعها تدريجيا

فهذه اربع مدارس عالية للبنات ثلاث منها تفتح الآن والرابعة بعد برهة من الزمان . وما دام المتسابقون قد نزلوا الى هذا الميدان فتعليم البنات سينتشر ويمتد حتى يعم كل طبقات الاهالي في هذا القطر

تنظيف العاج والعظم

اذا اصفرّت ادوات العاج والعظم فتنظف وتبيض بوضعها في اناء زجاجي فيه روح التريتينا . توضع فيه على شبكة من الزنك حتى تبقى عالية عن قعره نحو نصف عقدة ويوضع الاناء في الشمس ثلاثة ايام او اربعة فتنظف وتبيض

واذا كانت ادوات العاج والعظم كبيرة او تعذر وضعها في روح التريتينا فاجعل الطباشير وادهنها به بفرشاة ومتى جف عليها فاغسلها منه بفرشاة وكثير من الماء واتركها حتى تجف ثم امسحها بنقطتين من السبيرتو

او اذ بملعقة صغيرة من الحامض الاكساليك بستين درهما من الماء وامسح العاج بالماء ثم بهذا المذوب ونشفه حالا بخرقة امام النار

ويقصر العاج بوضعه مدة قصيرة في ماء فيه قليل من الحامض الكبريتيك او الكلور

نزع آثار الدم

اذا غرزت ابرة في اصبع الخياطة عرضاً وكان في يدها شيء ابيض تحيطه فقد يتلخ بالدم ويخسر من ثمنه ويمكن ان يزال اثر الدم عنه بدهنه بالنشا المبول وبقاء طبقة من النشا عليه مدة ثم تنزع فيزول اثر الدم معها

وتزول آثار الدم ايضاً بمذوب كربونات الصودا او كربونات البوتاسا ثم بالغسل بماء الشب الابيض

نزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منه

تنزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منه بالغسل بالسبيروتو القوي او بالغسل بمسحوق القصاره ثم بالسبيروتو

نزع آثار القلويات

اذا اصاب القلويات الثياب فاطفئها تزال آثارها عنها بحامض الليمون والماء لان الحامض يعدلها

بَابُ التَّقْرِيطِ وَالْإِيجْمَا

THE PUPIL'S GRAMMAR.

By M. Obeid & M. Rakha.

يسرنا من ابناء هذا القطر اقبالهم على تعلم اللغة الانكليزية واجتهادهم في مجارة ابنائها بتأليف الكتب العلمية فيها فقد رأينا لهم كتباً حسنة في الجغرافية وهذا كتاب حسن في قواعد اللغة. والظاهر ان اساندهم الانكليزي يرغبونهم في تطبيق هذه الكتب على احوال البلاد فبدلاً من ان يكون كتاب الجغرافية مسهباً في الكلام على انكلترا وفرنسا وموجزاً جداً في الكلام على القطر المصري يؤلفون كتاباً مسهباً في الكلام على القطر المصري. اما كتب قواعد اللغة فلا يكون فيها هذا الفرق ولكن يمكن تقريبها من اذهان الطلبة المصريين يجعل امثلتها مما القوامع او ما من حفظه فائدة لهم بنوع خاص وتبسيطهم بنوع خاص من الخط الذي يقعون فيه لاعنيادهم اللغة العربية واساليبها. وقد اهتم مؤلفا هذا الكتاب بالارشاد

الى ما يتعرّض له الطلبة المصريون من الخطأ وجمعا ذلك في خمس عشرة قاعدة احقاها بالكتاب فجاء وافياً بالغرض المقصود منه

ومن الامثلة المشار اليها آنفاً ما ترجمته " بنى القاهرة جوهر القائد . تغلب المسلمون على الاسبانين في القرن السابع . يُصنع الصابون في كفر الزيات وينقى السكر في الحوامدية . فخر محمد اليهود في واقعة خيبر . بنيت مدرسة في الخرطوم تذكراً للجنرال غوردون "

ومن امثلة ما يكثر الغلط فيه ذكر الضمير عائداً الى اسم الموصول اذا كان مفعولاً به كقولك This is the man whom I met. فان الغالب على ابناء العربية ان يلحقوا الفعل بالضمير العائد الى اسم الموصول ومنها ذكر ضمير الجر بعد من التفضيلة ويجب ان يكون ضمير الرفع في الانكليزية

وقد احسنا في طبع هذا الكتاب بحرف كبير واضح لان الحروف الدقيقة ثعب نظر غريب اللغة تعباً شديداً فنشئ على همتها ونتمنى لكتابهما الرواج التام

السودان

السودان اسم جريدة انشأناها في مدينة الخرطوم ونظنا تحريرها بالعالم الاديب والكااتب الجيد خليل افندي ثابت وقد صدر العدد الاول منها الآن حافلاً باخبار تلك البلاد وما بهم اهلها الوقوف عليه بعد ديباجة مسهبية بسطت فيها اغراض الجريدة وسياستها . وفي هذا العدد اخبار محلية ملء صفحة ونصف صفحة وتلغرافات ورتور السياسية ومراسلات من جهات السودان ومقالتان مسهبتان الواحدة عن مستقبل زراعة السودان بنوع عام والثانية عن زراعة القطن في السودان . اما المراسلات فننقل منها رسالة مكاتب السودان في كردوفان وهي عن مدينة الأبيض قال فيها

الأبيض عاصمة كردوفان ومركز حكومتها كانت قبل الفتنة محط رحال التجار ومن اسواق السودان الكبيرة فنشبت فيها العمارة وكثر فيها السكان فلما تملكها الدراويش اخربوها فلم يبقوا ولم يذروا ولم يخلفوا فيها اثرأ سوى مقصورة مرفوعة على باب كبير معقود بالطوب الاحمر والخير بناءً احد الباشوات وانما ابقوا عليه ليجزم عن دكه ولان احد امرائهم احب سكنى المقصورة حيث كان يصدر اوامره الجائرة الى اتباعه قاضية بالنهب والسلب والقتل والشنق ارضاء لشهواته الخبيثة وتحويلاً على من في طاعته من الاهالي والاتباع او بالحري العبيد الارقاء وبعد ان ضرب سعادة حاكمنا العام الخليفة تلك الضربة القاضية التي اوردت حنقه تقدم

مديرتنا بطل مفكنج سعادة اللواء ماهون باشا واحنل هذه الديار وقد سأل السائلون عما
 وجدوه فالجواب انه وجد الابيض قاعاً صفصفاً بأوي اليها الثعالب والضباع خالية من الناس
 وقد عفت رسومها كأنها لم تكن في الوجود وبعد ان اقام هناك بضعة ايام وفد عليه بعض القوم
 وهم بحالة يرثى لها حتى لقد قيل لي ان احسنهم حالاً حينئذ كان عمدة مدينتنا الحالي الشيخ
 نقي احمد كان يملك ثوباً وحمراً اعرج فاحسن سعادة ماهون باشا ملقاهم واكرمهم وشرع يدعو
 البقية الباقية من اهل الابيض الى العودة اليها بعد ان لجأوا الى الجبال والوعور خوفاً من
 الدراويش فلبوا دعوته ورجعوا الى مدينتهم بعد طول هجرهم لها فبنوا بيوتهم على خرائب المدينة
 القديمة وجعلت الابيض الجديدة عاصمة للمديرية فأقبل عليها التجار الاجانب وفي مقدمتهم
 الحلبيون واليونان. وخير شاهد على تقدمها البون العظيم بين حالتها الحاضرة وما كانت عليه يوم
 احلتها الحكومة ولا اغالي اذا قلت ان عمار الابيض وتقدمها فاذا المنتظر بسبب بعدها عن
 مراكز التجارة وال عمران وانفرادها ويعتقد القوم هنا ان الفضل الكبير في ماتم الى الآن عائد
 الى سعادة اللواء ماهون باشا ورجاله

اما سائر بنادر كردوفان كباره والنهود فلم يكن نصيبها باقل من نصيب الابيض ونراها
 تجري حثيثاً في سبيل التقدم والنجاح

بقي هنالك سكان السهول والادوية واهل الارياض البعيدين من مراكز التجارة والاعمال
 وجل هؤلاء من الرحل والزنوج تتألف منهم قبائل عديدة حفظت كيانها الوفاً من السنين وكانوا
 في ايام التعايشي لا يدنون من المدن والقرى خوفاً من اذى بلجهم او بلائ ينزل بهم فلما انس
 منهم مديرتنا هذا النفور اخذ يجول في انحاء البلاد فيقضي اربعة اشهر من كل عام بين هذه
 القبائل منشطاً ومحرضاً ومتقرباً حتى استولى عليهم بحكمتهم ولطفهم فكبوا عن القطيعة واخذوا
 يفدون على المدن والمراكز ويتعاملون مع سكانها وتجارتها وما دامت الحال على هذا المنوال
 فمستقبل كردوفان مضمون ولو كان بطيئاً في اول الامر

ولكن جميع ما تقدم لا يمنعني من بسط امنية لدى ولاية الامور لعلمهم بحلولها محل النظر
 فيسدوا ثمة في بقائها ضرر كبير فان الحكومة لم تهتم الى الآن بانشاء مدرسة في الابيض
 لتعليم مبادئ العلوم وتربية الناشئة على المبادئ القويمة والآداب الصحيحة حتى يشب صغار
 هذا الجيل على غير ما شب عليه اسلافهم فيصبحوا اهلاً لآل يقوموا بالاعمال الموكولة الى
 عنايتهم ولا يخفى ان المهدوية خلفت في كردوفان اثرًا سيئاً لا يحوه سوى التعليم والتهديب
 ولا ينقرض الا بانقرض الذين نقش على افئدتهم ولا قوة تستطيع احداث تغيير او تبديل

الألم الصحيح هذا رجاؤنا بسلطاننا لنزوي الحل والعقد آمليين أنه لا ينبغي
وتصدر جريدة السودان مرتين في الاسبوع وقيمة الاشتراك فيها ستون غرشاً في السنة
في مصر والسودان وثمانون غرشاً في البلاد الاجنبية . وقد اعلنت انها لا تعدّ أحداً مشتركاً
مالم يدفع قيمة الاشتراك سلفاً

ارشاد الابا ورسالة الف با

الف حفرة العالم المحقق الشيخ طاهر الجزائري كتاباً في الحروف العربية وحركاتها
واوضاعها جمع فيه كثيراً مما قاله أئمة اللغة في هذه المواضيع وامثالها كقولهم في الكلام على
الشكل "كان الشكل في اول الامر بطريق النقط قال الفقيه المحدث يوسف البلوي في كتاب
الف با قال عمرو المغربي في كتاب المقنع احد تأليفه :

"اختلف الرواة لدينا في من نقط المصاحف من التابعين فروينا ان المبتدئ بذلك كان ابا
الاسود الدؤلي رحمه الله وذلك انه كان اراد ان يعمل كتاباً في النحو يقرؤم الناس به ما فسد
من كلامهم اذ كان قرشياً فقال ارى ان ابتدىء باعراب القرآن اولاً فاحضر من يمك المصحف
واحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال للذي يمك المصحف اذا فتحت شفتي فاجعل نقطة فوق
الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب
الحرف فان اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى اتى الى آخر
المصحف . وقال صاحب الكتاب نقلاً عن ابي عمرو المذكور قال وروينا ان المبتدئ بذلك
كان نصر بن عاصم الليثي وروينا ان ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى وان يحيى اول
من نقطها وهو لاء الثلاثة من جلة تابعي البصرة

ثم قال المؤلف ان اكثر العلماء على ان ابا الاسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات
والتنوين ليس غير وان الخليل بن احمد هو الذي بدأ بالمد والتشديد والروم والاشمام وانه
عمل الشكل الذي على الحروف واخذه من صورة الحروف فالضمة او صغيرة الصورة في اعلى
الحرف لثلاثاً لتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة الف مسطوحة فوق الحرف
وجعل الحرف المشدد شبه شين اخذه من اول شديد فاذا كان خفيفاً جعل شبه خاء
اخذه من خفيف

وقال في الكلام على كتابة الاعداد ان لها اربع طرق "الاولى كتابتها بحروفها . . .
والثانية طريقة حساب الجمل واكثر ما يستعمل في الاعمال الفلكية وقد التزموا تقديم الاكثر

على الأقل فيكتبون ١٣ هكذا بـ بقطع حرف الجيم لئلا يلتبس بالحاء و ١٨ هكذا جـ و ١٩ هكذا دـ و ٥٣ هكذا هـ بنقط النون لئلا تلبس بالياء . وحيث انهم يحتاجون في الاغلب الى بيان الدرَج والدقائق والتوافي ونحو ذلك وقد تخلو بعض المراتب من العدد اضطروا الى اختراع شكل للصفر ليضعوه في المرتبة الخالية وقد جعلوا صورته هكذا ٣ او هكذا ٤ . الثالثة طريقة الحساب بالاشكال الهندية وهي عشرة المعروفة الآن في مشارق الارض ومغارها ونسبت الى الهند لانها من وضعهم وهي العشرة اشكال تسعة منها للاعداد وواحد منها للصفر وهو على هيئة الدائرة وقد نظمناها فقلنا

للهند ارقام تعدُّ بها وها هي عشرة ولها مزايًا باهرة
الف وحاجج عو وعين ها ووصو رة محجن صفران واو دائره

” وقد اخذها العرب عنهم ومنهم انتشرت في سائر الامم غير ان المغاربة حافظوا على صورها الاصلية على قدر الامكان وتبعهم على ذلك من اخذها عنهم من اهل اوربا وتغيرت في المشرق عصرًا بعد عصر حتى صارت الى ما ترى غير انها تلائم من يميل الى السرعة
” الرابعة الطريقة الدوائية وهي كتابة اسماء الاعداد ببعض حروفها التي تشعر بها من طرف خفي “

هذا والكتاب كله على هذا النسق من الابانة والتدقيق الا ان صور الارقام التي ذكرها في البيتين المتقدمين غير سديدة في الاربعة والخمسة والصواب ما ذكرناه منذ نحو عشرين سنة في المجلد التاسع من المقتطف وهو

الف وحاء ثم حج بعده عين وبعد العين عو ترسم

وحبذا لو بين الآراء الراجحة والمرجوحة عند ذكر الآراء المختلفة كقول السيرافي في الجهد هوز ” لا شك ان اصلها اعجمي لانها كان يقع عليها تعليم الخط بالسريانية ” فان هذا القول اصح من قول سيديويه والمبرد

اما رسالة الف با فستخرجه من كتاب ارشاد الالبا وهي لتعليم القراءة وثمن الكتاب اربعة غروش وثمن الرسالة نصف غرش

تحقيق ناموس موسى

رسالة للاب تاودوروس اسقف حران المعروف بابي قرّة الذي كان في اواخر القرن الثامن للمسيح واولئل التاسع وقد عني بنشرها الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير الخالص

الباسيلييين عن نسخة قديمة وجدها في مكتبة دير المخلص نسخها المطران باسيليوس فينان سنة ١٧٣٥ عن نسخة قديمة تاريخها سنة ٦٥٥٩ لآدم (١٠٥١ للمسيح)

واذا صح ما رجحه البعض من ان ابا فرّة كتب بالعربية وترجمت كتبه الى السريانية فالعربية التي كانت شائعة بين المسيحيين في عصره اي اوائل عصر المأمون تفوق ما آلت اليه بعد ذلك كما يظهر من مقابلة الآيات الكتابية التي وردت في هذه الرسالة بالنسخة العربية التي وجدت في دير طور سيناء. وتكاد تفوق العربية الشائعة الآن كما يظهر من مقابلتها بالترجمتين الحديثتين كقوله من الاصحاح السابع عشر من سفر التثنية "ولا تحيدن" عن الامر الذي يوعزون به اليك يميناً ولا شمالاً. والانسان الذي يتعظم ولا يسمع للكهان الذي يخدم باسم الرب الهك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الايام فليقتل ذلك الانسان وايدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الامة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان"

وقد وردت هذه الآيات في الترجمة الاميركية هكذا "لا تحمد عن الامر الذي يخبرونك به يميناً او شمالاً والرجل الذي يعمل بطغيان ولا يسمع للكهان الواقف هناك ليجد الرب الهك والقاضي يقتل ذلك الرجل فتتزع الشر من اسرائيل فيسمع جميع الشعوب ويخافون ولا يطغون بعد"

وفي الترجمة اليسوعية "ولا تحمد عن الذي يفتونك به يميناً ولا يسرة واي رجل كان مخبراً حتى لا يسمع من الكاهن الواقف هناك ليجد الرب الهك او من القاضي فليقتل ذلك الرجل واقلع الشر من اسرائيل فيسمع جميع الشعب ويخافوا ولا يتخبروا ايضاً". والبحث في هذه الرسالة دني جدلي

ملكة على عرش الفراعنة

رواية تاريخية ادبية عربها عن الفرنسية حضرة المنشئ المجيد نقولا افندي رزق الله ولقد لها مقدمة شعرية قال فيها

قصة تنتهي الى عهد فرعون	وموسى وآل اسرائيل
يوم كانت تجر مصر على كل	بلاد من الفخار ذيولا
وملوك الزمان تحسب فرعون	الها بالعالمين كفيلا
قصة تكشف الغوامض عن مصر	وتروي عن اصلها المجهولا
فهي تدني اليك عصراً فعصراً	وهي تطوي اليك جيلاً فخيلاً

ومدار القصة على سائح انكليزي ابتاع قبراً مصرياً في الصعيد فوجده متضمناً درجاً قديماً فيه قصة تاريخية غرامية عن فتاة مصرية احبت شاباً اسرائيلياً قرب زمن خروج بني اسرائيل من مصر ثم حدثت حوادث الخروج على ما هي مذكورة في التوراة. وقال المترجم في حاشية على الصفحة ١١٦ "ان الوارد عن السحرة وغيرهم في هذه الرواية منقول عن ذلك البردي (الدرج) الآف ذكره في مقدمتها ونرى بينه وبين ما جاء في الكتب المنزلة مطابقة اتى عليها واضع هذه الرواية قصداً الى الاثبات التاريخي" واورد في الخاتمة ما يستفاد منه ان الدرج او البردي المتضمن هذه القصة شيء حقيقي . وهذا غير المراد بل القصة موضوعة من اولها الى آخرها. ولم يكشف في الآثار المصرية حتى الآن شيء يدل على دلالة صريحة على وجود بني اسرائيل في القطر المصري وخروجهم منه . والرواية حسنة التعريب والترصيف وثمنها ثمانية غروش صاغ وهي تطلب من حضرة مترجمها ومن كل المكاتب الكبيرة

تدبير الاطفال في الصحة والمرض

هذا كتاب كبير الفائدة يشتمل على اسهل الطرق واحداثها لتدبير الاطفال والاحداث في الصحة ومداواتهم في المرض وضعه حضرة الدكتور اسكندر بك جريديني وبدأه بتدبير صحة الحامل ثم تكلم فيه على نمو الاطفال وغسلهم ولبسهم وطعامهم وتربيتهم الجسدية والعقلية ونومهم وتدبيرهم في المرض وانواع الامراض التي تصيبهم مرضاً مرضاً كالقلاع وخراج اللثة والتهاب اللوزتين وعسر الهضم والمغص والامساك والديدان واليرقان والزكام والتشنج والرمد والافات الجراحية على انواعها . ووضح ذلك كله بالرسوم والشرح البسيطة

وقد نشرنا فصل التربية الجسدية والعقلية في هذا الجزء للدلالة على اسلوب الكتاب. وثمن النسخة منه ١٢ غرشاً وهو ثمن زهيد بالنسبة الى فائدة الكتاب وجرمه فنثني على حضرة مؤلفه ثناءً جميلاً ونتمنى لكتابه الرواج التام

الكتاب الرابع من مراقب الترجمة

وضع هذا الكتاب حضرات الادباء ابي زيد افندي فايد ورصيفيه عبد الحميد افندي الشربيني ومحمود افندي عثمان عطا الله المدرسين بالمدرسة الناصرية وهو دروس توضح ما يشكل على المترجم فهمه او ما لا يصل اليه من نفسه الا بعد طول الدرس كورود فعل الكون بالجمع لماضي المتكلم في الجملة الشرطية وانصراف معنى فعل الملك الى الزوم . وفيه مسائل الترجمة الواردة بين مسائل الشهادة الابتدائية من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣

كتاب الالفاظ المترادفة

للامام ابي الحسن علي بن عيسى الرّماني النحوي المتوفى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وقد اعنى بشرحه وطبعه حضرة الاديب محمد افندي محمود الراعي بعد ان صححه وضبط الفاظه على الاستاذ الشهير الشيخ محمد محمود الشنقيطي . وفيه ١٤٢ فصلاً من المترادفات وقد ذُكرت مفردات كل فصل من غير ترتيب في الدرجات كما رتب في فقه اللغة ولكن ذُكر منها أكثر مما ذُكر فيه فترادفات الغنى في فقه اللغة هكذا "الكفاف ثم الغنى ثم الاحراف ثم الثروة ثم الاكثار ثم الاتراب ثم القنطرة" وفي هذا الكتاب "الغنى والسعة والجدّة والثروة والميسرة واليسار والزيد والرياش والجدا والارباب والوفر" فترك الثعالي السعة والجدّة والميسرة واليسار والزيد والرياش والجدا والوفر . وترك الرماني الاحراف والاكثر والقنطرة . فما جمعه الرماني اوفى بحاجة الكاتب لكن الثعالي تناول فصولاً كثيرة لم يتناولها الرماني . ثم ان الثعالي عاصر الرماني او كان في اواخر ايامه وبعد عن الظن ان لا يكون قد رأى كتابه فاغفاله ذكره غريب في بابيه

باب المصطلحات

معنا هذا الباب منذ اول انشاء المقطف واعدنا ان نجيب فيه مسائل ! يشتركون التي لا تخرج عن دائرة بحث المقطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألة باسمه والقابو ومحل اقامته امضاً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تتزوج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليذكره سؤاله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كاف

(١) ظهور الانبياء

لاديانهم المختلفة في بلدانهم المختلفة فعند الهنود والصينيين والاميركيين واسلاف الاوربيين انبياء كثيرون . وما من ديانة الا اعنقد اصحابها النبوة في بعض دعائها او معلميها . ولا يزال اصحاب اكثر الاديان يعتقدون ظهور الانبياء الذين ينبئون بالمستقبلات حتى الان

اسيوط . جورجي افندي خير . لماذا ظهر الانبياء كلهم في بقاع من الارض متجاورة وفي ازمة متقاربة ولم يظهروا في بقاع متباعدة كشمالي اوربا واوسط اسيا وجنوبي اميركا ج ان اصحاب الاديان غير اليهودية والمسيحية والاسلامية يقولون بظهور انبياء

(٢) العجائب

ومنه . لماذا قام أكثر الانبياء بعمل العجائب الخارقة لنواميس الطبيعة . هل كان الوسط الذي قاموا فيه بالغاً الدرجة القصوى من الارتفاع ولما لا تصنع العجائب والمعجزات في وقتنا الحاضر

ج لقد عملوا العجائب اثباتاً لصحة دعواهم . اما كون العجائب خارقة لنواميس الطبيعة فمشكوك فيه والمرجح حتى عند القائمين بصحتها انها لم تحرق نواميس الطبيعة بل جرت على نواميس غير معروفة فظهر كأنها خرقت النواميس الطبيعية ويدعي البعض ان العجائب لا تنزل تُصنع الآن كما كانت تُصنع قبلاً

(٣) قياس الابعاد عند العرب

ومنه . كان العرب قديماً يقيسون المسافات بالايام كما جاء ذلك في حدة نظر زرقاء اليامة من انها كانت تبصر على مسافة ثلاثة ايام فهل لم يكن عندهم وحدة للمقاييس الطويلة يعتمدون عليها

ج كلاً بل كانوا يقيسون بالمرحلة او سير اليوم . ثم لما اخلطوا بالروم والفرس اخذوا عنهم الميل والبريد والفرسخ

(٤) البحث العلمي

ومنه . كثير بيننا عدد التخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحداً منهم قام باختبار القضايا العلمية وانتاج النتائج والاستدلالات

التي يقف عليها علماً وعملاً فهل ذلك يعزى لنقص في التعليم او اهمال من التخرجين ج يعزى الى الاثنين والى ان الاسانذة انفسهم ليسوا من اهل الاشتغال بالعلم ولو كانوا من اهل الاشتغال به لافتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في اوربا واميركا وفي بلاد اليابان ايضاً

(٥) ابعاد النوم

مصر . ص . ج هل من طريقة تبعد النوم الى حين ولا يكون فيها اجهاد للطبيعة لانه كثيراً ما يكون المرء في حاجة الى العمل الفكري اثناء الليل فيهاجمه النوم على غير قصد اما لحاول ساعة النوم المعتادة او لتأثير الهضم بعد الاكل فهل من طريقة تبعد النوم وتنبيه الخ في مثل هذه الاحوال ولا نورث التعب بعد استعمالها خصوصاً اذا لم تتكرر الا قليلاً بضع ليالٍ متفرقة او متوالية

ج كُنْناً في زمن الدرس نعتمد على غسل الوجه بالماء البارد او غسل الوجه وسكب قليل من الماء البارد على الرأس فتمتكن من السهر ساعات متوالية بعد ان يحين زمن النوم ويشد النعاس . وهذه الوساطة سهلة جداً ولا ضرر منها ولكن لا يحسن الافراط في السهر لان جودة العمل تستدعي ان يستريح الدماغ بالنوم لتجديد قواه كما تزون في مقالة مخصصة نشرت في هذا الجزء

(٦) هواء رأس البر

ومنهُ . ما هو رأيكم في رأس البر وما هو
سبب ما يجدهُ الانسان من الانتفاع
بالاقامة فيه

ج لا شبهة في الفائدة من الاقامة
حيث تترك الامواج وتنفس كما علم بالاستقراء
اما السبب الطبيعي لذلك فهو انه يتولد من
حركة الامواج وازدادها كثير من الازون
وهو العنصر المظهر في الهواء وهو كثير في هواء
الجلال النقي وقليل جداً في هواء المدن
الناسد . وزد على ذلك ان الخصاص التي
بقي فيها المصطافون في رأس البر يتجدد
هواؤها دوماً فكانهم مقيمون في الخلاء من
غير ان يتعرضوا لعصف الرياح وحرارة الشمس .
وان المدة التي يقيمونها هناك يتركون فيها
العمل وينفرون للراحة والاستجمام وكل ذلك
منفذ للصحة ولا سيما بعد عناء الاشغال

(٧) رطوبة رأس البر

ومنهُ . بلغني من بعض الذين قضاوا
الصف في رأس البر ان الاقامة هناك
مفزة بالصحة لكثرة الرطوبة فان المياه تغطي
تلك الرمال اكثر شهور السنة واذا انكشفت
عنها بقيت تحت وجه الارض على عمق قليل
جداً فهل ذلك صحيح

ج ان الاماكن الرطبة تضرُّ المعرضين
لرؤماتهم ولكنها لا تضرُّ غيرهم والا لوجب
ان يضر كل المسافرين بجرّاً وكل الذين في

السفن الحربيّة والتجارية والغالب ان تكون
صحتهم اجود من صحة غيرهم

(٨) الناس والرؤوس الطيارة

مصر . عطا الله افندي فهمي . اوجدت
اناس ذوو رؤوس طيارة وان كان ذلك
صحيحاً ففي اي زمن وجدوا واين كان مقرهم
ج كلا بل كل الناس الذين وجدوا
على وجه البسيطة من اقدم عهدهم الى هذا
العهد هم مثل الناس الذين فيها الآن واقدمهم
مثل المتوحشين منهم او احط قليلاً . واذا
صحّ مذهب النشوء فالانسان ارتقى من
حيوان مشابه له وهذا ارتقى من حيوان
آخر قريب منه في الشبه وهلمّ جرّاً . ولكن
متى بعد الحيوان عن الشكل الذي نسميه
انساناً لا يعود انساناً . وليس في الحلقات
التي مرّ عليها نوع الانسان حلقة كان فيها
الرأس طياراً

(٩) الطب الروحاني

مصر . مصطفى افندي راشد . طالعت
اعلاناً تحت عنوان الطب الروحاني لاحد
المشتغلين به يذكر فيه انه يعالج به الامراض
العصبية بدون مداواة المرحون تشرحوا لنا
كيفية تأثير هذه الطريقة في شفاء الامراض
ج لا شبهة في ان الوهم يؤثر في
الاعصاب وقد ظهر بالاستقراء ان البعض

قد انتهى الينا ما ذاع عن ظهور آلة هوائية تقوم مقام الآلة البخارية في رفع الماء من عمق عشرة امتار لري المزارع فهل وقتم على شيء من امر هذه الآلة وقوتها وطريقة استخدامها وما تستلزم من العمال

ج وقفنا على شرح آلة من هذا القبيل استنبطها احد نزلاء هذا القطر وهي مثل بعض الآلات التي كانت تستعمل في اوربا قبل الآلة البخارية . والآلة البخارية اصلح منها من كل وجه لكنها لا ترفع الماء عشرة امتار الا اذا كانت رافعة ودافعة في وقت واحد فيفرغ الماء منها على ارتفاع ثمانية امتار الى تسعة امتار ثم يرفع متراً او مترين اما بدفعه او بصبه في بئر يرتفع فيها الى العلو المراد

يشعرون احياناً بمرض ولا يكون للمرض حقيقة فيهم بل يكون شعورهم به من قبيل الوهم كما يتوهم البعض انهم مصابون بخفقان في قلوبهم وقلوبهم سليمة اوان ارجلهم كسيجة ولا يستطيعون المشي وهي قوية مثل ارجل غيرهم فهو لا يمكن نزع وهمهم بوم آخر او بحيلة من الحيل . ومن المحتمل ان يكون المرض العصبي حقيقياً ناتجاً عن خلل في وظيفة بعض الاعصاب فتفعل الوسائط الادوية به حتى تعيده الى وظيفته . وعلى هذين الاسلوبين يكون نجاح المدعين شفاء الامراض العصبية بالوسائط الادوية

(١٠) رافعة هوائية

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح .

بالاحكام العلمية

علاج السل

مقالة في هذا الموضوع الى المؤتمر الطبي في كاسل وعنده ان هذا المصل بقي الاجسام من السل كما يقبها طعم الجدري من الجدري . ولم يتحقق كل ما يظنه من هذا القبيل حتى الان ولكنه تحقق اموراً كثيرة ترجح له النجاح اخيراً وهو عازم ان لا يبيع شيئاً من مصله لاحد الا بعد ان تثبت فائدته ثبوتاً قاطعاً

يعلم قراء المقتطف ان الدكتور بهرنج الالماني اكتشف المصل الذي تعالج به الدفتيريا كما اكتشفه الاستاذ رو الفرنسي . وقد كتب الى جريدة التيمس من برلين ان الاستاذ بهرنج يشتغل الان باكتشاف مصل او علاج من نوع المصل لمرض السل وقد قدم

ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من المستنقعات البعوض فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعه اصابته الحمى الملارية ومن وقى نفسه من لسعه سلم من هذا الداء وهذا الامر لا ينكره احد في قضاء راشيا فمن اراد ان يقي نفسه من هذا الداء فليصنع لسريه كلة تمنع دخول البعوض اليه في بلاد المستنقعات (انظر الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن من المقتطف)

مجمع التعليم وقوة الخيلة

النَّام مجمع التعليم في اميركا برئاسة الاستاذ اليوت رئيس مدرسة هارفر الجامعة الذي زار هذا القطر منذ بضع سنوات فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها تعريف جديد للانسان المتعلم بين فيه ان ابناء القرن العشرين سيجعلون المقام الاول للذين تستنبط عقولهم الاعمال العظيمة كالالات الكهربائية التي تدير الوفاً من المحلات وتنير الوفاً من المصابيح وترسل بها افكار الناس الوفاً من الاميال ولا موصل لها سوى امواج الاثير وان القرن الماضي يدل على ان الناس ذوي الخيلة المركبة اي الذين عقولهم تتناول المعارف الجزئية وتركب منها قضايا كلية او تستنبط منها اموراً كبيرة هم الذين اشتهروا فيه وافادوا وان مخيلة رجل مثل دارون وباستور لا نقل توليداً عن مخيلة رجل مثل دافني او غيتي او شكسبير

وكتب الى جريدة المورننج بوست من باريس ان الدكتور مرمورك اكتشف مصلاً بشفي من السل وعزم ان يطلع اكاديمية الطب عليه ويقال ان هذا المصل جرّب في مستشفيات باريس فشفي كل الذين عولجوا به ولا يبعد ان ثبت فائدة هذين الاكتشافين كما ثبتت فائدة مصل الدفتيريا وتكون مناظرة علماء المانيا وفرنسا خير مناظرة في سبيل العلم والنفع

مؤتمر الهيخين والبعوض

اجمع اعضاء مؤتمر الهيخين الذي عقد حديثاً في مدينة بركل على الامور الآتية وهي

(١) على موظفي الحكومة التي بلادها ملاريا ان يثبتوا انهم يعرفون علاقة البعوض بالملاريا معرفة تامة وان يعرفوا كيف يتفون البعوض

(٢) على المدارس التي في تلك البلاد سواء كانت للحكومة او للمسلمين ان تعلم تلاميذها علاقة البعوض بالملاريا وكيفية انقاذه فهذا حكم حكم به اكبر مؤتمر صحي والحقيقة التي بنى حكمه عليها عرفها طبيب سوري في بلاد سورية منذ عشرين سنة واذاعها على صفحات المقتطف حيث قال "شاهدت امتداد الحمى الملاريا في راشيا مرّين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمت

زراعة القطن في السودان

جاء في جريدة السودان ان بعضهم جرب زرع القطن في كرري إنتقى فداناً واعدّه للزراعة وقسمه ثلاث قطع متساوية وزرع القطعة الواحدة منها في اواخر يوليو اي في الوقت الذي يزرع فيه القطن في السودان وزرع القطعة الثانية في سبتمبر والثالثة في مارس وتعهد القطع الثلاث بالخدمة اللازمة فكانت النتيجة كما يأتي

تاريخ زرع القطعة	تاريخ النضج	محصول ثلث فدان اوطالاً
٢٥ يوليو	فبراير	٣٠٥
١ سبتمبر	ابريل	٣٧٠
١ مارس	سبتمبر	٦٥٣

فيظهر من ذلك ان المزروع في اواخر يوليو كان محصوله رديئاً جداً وذلك لان زمان نضجه وافق فصل البرد وان ما زرع في سبتمبر كان اجود منه وان الذي زرع في اول مارس كان حسناً جداً اذ بلغ متوسط محصول الفدان منه ستة قناطير وكانت تيلته جيدة جداً كما ثبت في معرض الخرطوم حيث عرض منه مقدار افة وشجرتان حفظهما لهذه الغاية فنال المعروض منه الجائزة الاولى ومجال التحسين في زراعة القطن متسع جداً

كراسي الكهرباء

يتذكر الذين زاروا معرض باريس سنة ١٩٠٠ مقدار التعب الذي عانوه من المشي فيه ساعات متوالية كل يوم . وقد اهتم الاميريون بما يزيل ذلك من معرضهم فصنعوا كراسي تسير بالكهربائية من نفسها سيراً بطيئاً كمشي المشي اي نحو ثلاثة اميال في الساعة ولا تريد سرعتها على ذلك فيجلس المرء فيها فتسير به من نفسها كيفما وجهها وتبقى سرعتها واحدة سواء كانت الارض منبسطة او مائلة الى الاعلى او الى الاسفل

البعوض والاثمار الحامضة

علم منذ مدة ان الحمى المalarية لا تنتشر في بعض الاماكن ولو كان فيها البعوض الذي ينقل عدوى المalarيا وكان فيها انسان مصاب بها . ثم اتضح بعد البحث ان بعوض المalarيا لا ينقل عدواها ما دام يأكل اثماراً حامضة فاذا كان في مكان اثمار حامضة الطعم لم تعد جراثيم المalarيا تعيش في بدن بعوضه

هبات اميركية

وعد المستر مرشال فيلد بخمسة ملايين ريال لانشاء متحف في شيكاغو . وجمعت لجنة المدرسة الطبية من مدرسة شيكاغو الجامعة مئة الف ريال فاستحققت تلك المدرسة الهبة التي وعد بها جون ركفلر ومقدارها ستة ملايين ريال

عنصر الراديوم

لا يزال الراديوم شغلاً شاعراً للعلماء فلا تكاد تخلو مجلة من مجلاتهم من بحث جديد فيه أو تلخيص بحث قديم . وبالأمس قدم السروليم هجنس وزوجته مقالة الى الجمعية الملكية الانكليزية ضمنها خلاصة بحثهما فيه فقالا ما محصله

ان عنصر الراديوم الذي اكتشفه الاستاذ كوري وزوجته ظهرت فيه خواص جديدة غريبة جداً وبان منه حتى الآن ما يدل على انه سيرشدنا الى معرفة حقيقة المادة . ويظهر منه انه يولد قوة على اشكال مختلفة وذلك من تلقاء نفسه ومن غير انقطاع وتصدر منه ثلاثة انواع على الاقل من الاشعة الواحد مؤلف من دقائق ثقيلة كل دقيقة منها اكبر من جوهر الهيدروجين وهي تتحرك بسرعة وفيها كهربائية ايجابية والثاني دقائق مكهربة سلباً قوية النفوذ جداً وتظهر قوة نفوذها للاجسام غير الشفافة من الحادثة التالية وهي ان السروليم وضع جزءاً من مئة جزء من الغرام من بروميد الراديوم في الدرج الاعلى من مكتبه وكان في الدرج الاسفل منه الواح صور فوتوغرافية وبعد اسبوعين فتح هذا الدرج فوجد الواح التصوير فيه مغشاة كلها كأنها عرّضت لنور الشمس (وما ذلك الا لان الشعة الراديوم خرقت الواح الخشب

ودخلت اليها وفعلت بها) . والثالث دقائق تنتشر من الراديوم كأنها غاز . وزد على ذلك ان المسيو كوري وزوجته وجدا ان حرارة الراديوم تبقى دائماً اعلى من حرارة ما يحاوره درجة ونصف درجة بميزان سنتغراد فهو يشع اشعة حرارة ايضاً . والنور الصادر منه في الظلام يدل على انه يشع نوعاً خامساً من الاشعة تنير على درجة الحرارة العادية . وهذا النور ليس من قبيل نور الجباب ونور الفسفور على الراجح بل هو مسبب عن اختلال التوازن في جواهر الراديوم فينتج عن هذا الاختلال تهييج شديد في جواهره فيندفع بعضها منه بعنف شديد وحالما يندفع يظهر بعض القوة الكامنة فيه في صورة حركة والدقائق المتحركة كذلك تظهر منيرة كما يظهر بخار الراديوم اذا وضع في لب قنديل مشتعل او في متفرغ مجرى كهربائي

ووقفنا بعد ذلك على مقالة مسبهة في جريدة الداهلي ما يل الانكليزية ابان فيها كاتبها ان الراديوم افاد في علاج الذئب الاكّال والفراجيا وجعل بعض العميان يبصرون ما امامهم وظهر ان لها فعلاً شديداً بالميكروبات وصغار الحيوانات وانه ألقت شركة في المانيا لاستخراج ولا يزال ثمنه غالياً جداً حتى الآن فان الدرهم منه يساوي ١٢٥٠ جنمياً . وبلغنا بعد كتابة ما تقدم ان الدكتور حبيب خياط جلب شيئاً منه لاستعماله هنا

ثوران يزوف

زاد ثوران يزوف شدةً وقذف في الثاني والعشرين من اغسطس الماضي مواد بركانية علت نحو ٦٠٠ قدم في الجو

الكنزيت

اكتشف الدكتور كنز حجرًا كريمًا بنفسجي اللون وجده في كليفورنيا اذا وقعت عليه اشعة رنتجن اضاء بها وبقي الضوء فيه اذا وضع في الظلام مدة طويلة وقد سمي هذا الحجر باسم الكنزيت نسبة الى مكتشفه

مرشد رجال المطافيء

استنبط المسيو اميل غواديني آلة صغيرة تنبئ رجال المطافيء عن المكاب الذي اشتعلت فيه نار فان في هذه الآلة ثرمومترا ترفع حرارة النار زبقه فيقطع اتصال آلة كهربائية فتدور عجلة صغيرة متصلة به وبالدار التي فيها رجال المطافيء بسلك كهربائي ومتى دارت العجلة اشارت اشارات تلغرافية باسم البيت الذي فيه تلك الآلة فيهرع رجال المطافيء اليه

الدكتور الكسندر باين

توفي الدكتور الكسندر باين استاذ المنطق في مدرسة ابردين الجامعة وكان من اكبر علماء هذا الفن وله فيه وفي سائر العلوم العقلية كتابات نفيسة

العرافة الحديثة

كتب السر اوليفر لدج رئيس جمعية المباحث النفسية الى المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية كتاباً مفتوحاً دفع به لومه للجمعية وحججه على الاسلوب الذي حجبناه نحن به في المقتطف فقال اذا قيل ان انساناً سرق بيت غيره او وقف على رأسه او فعل فعلاً آخر من هذا القبيل فقد يكفي لاثبات ذلك شهادة شاهدين من الذين رأوه ولكن اذا قيل ان انساناً طار في الهواء او استخرج النقود من خزانة حديدية والخزانة مقفلة وجب لاثبات ذلك شهادات أخرى غير عادية وهذا هو الواجب في امر الانباء بالمستقبلات . ويجب ان تكتب الشهادة بالتفصيل قبل حدوث الحادثة لانها ان كتبت بعدها فلا بد من وقوع التغير فيها وكذلك يجب ان يكتب كل ما انبأ به النبي ليعلم كم يقع منه وكم لا يقع

وبعد ان اسهب على هذا الاسلوب خُص كتابه بهذه الامور الثلاثة وهي اولاً ان انباء العرافة لم يكن صريحاً لانه لم يؤثر في الذين سمعوه تأثيراً قوياً ولان بعضهم نسوه . وثانياً انه يمكن تعليله بتأثير ما في افكار بعض الحضور بالعرافة فاستنتجت منه بعض النتائج وصرحت بها وهي نائمة . وثالثاً ان ما انبأت به لا ينطبق على ما حدث انطباقاً يفي الاتفاق

بينه وبين السائل الذي في الحويصلات من جهة واحدة فقط فتنشق جدران الحويصلات من ذلك ويصير الماء النقي سماء زعافاً لشاربيه

اللبن الجامد

كان في معرض الالبان الذي أقيم في مدينة همبرج حديثاً أدوات مختلفة من الامشاط ومقايض السكاكين تظنها عظماً وهي لبن جامد وموائد تظنها رخاماً وهي لبن جامد فان اللبن المخيض الذي نزع سمنه وبقيت المادة الجبينية فيه يمزج بشيء من ماء الصابون والاملاح المعدنية فتتكون منه مادة صلبة كالعاج او كالرخام او هي مثل السلولويد ولكنها لا تشتعل مثله

فتك الضواري والافاعي

قل فتك الضواري في بلاد الهند في العام الماضي عما كان في العام الذي قبله وزاد فتك الافاعي فبلغ عدد من فتكت بهم الضواري ٢٨٣٦ نفساً وكان عددهم ٣٦٥١ سنة ١٩٠١ وبلغ عدد الذين لسعتهم الافاعي فاوردتهم حتفهم ٢٣١٦٦ وكانوا في العام الذي قبله ٢٢٨١٠

مصاييح كالحروف

صُنعت مصاييح كهربائية في اشكال حروف الهجاء الافرنجية واسلاكها ممتدة فيها ترصف بعضها بجانب بعض فتتركب منها كلمات منيرة . وهي من الاساليب البديعة لظهار اسماء المخازن والاماكن العمومية منيرة في الظلام

فرد المستر ستد على الامر الاول ان انباء العرافة اُثرت في السامعين تأثيراً شديداً حتى جعل وزير السرب يكتب يحذر مولاه وعلى الامر الثاني انه لم يطلب من الجمعية لتعليل ما حدث ولا كان لومه لها لانها لم تخرج عن تعليله . وعلى الامر الثالث ان الانباء والحادثة يتفقان في الامور الجوهرية ومع ذلك فهذا لم يكن الامر الذي طلب من الجمعية البحث فيه . وقال في الختام انه بلوم الجمعية لانها لا تحسب ان الشهادة لتحقق ان يُبحث فيها ما لم تر انه لا يمكن نقضها ويولوها ايضاً لانها تحسب انه ما من حادثة نفسية تستحق البحث الا اذا ابدت نظرية من النظريات المعروفة

ضرر الماء النقي

لا يخفى ان الماء النقي المستقطر تافه الطعم لا يستطيعه من يشربه وكذلك ماء المطر وماء الثلج الذائب وكان المظنون ان الناس يكرهون هذه المياه كراهة لان ليس لها طعم خاص اما الآن فثبت انها تضر شاربيها ضرراً اكيداً وسبب ذلك انه اذا اتصل سائل بحويصلات الجسم فان كانت فيه املاح ذائبة كما في السائل الذي في الحويصلات حدث بين السائلين شيء من التبادل بالدخول والخروج ولكن اذا كان الماء نقياً لا شيء فيه من الاملاح صار التبادل

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

٨٠٩	قنّة بركان ييلي (مصورة)
٨١٠	مشاعر المتوحشين
٨١٢	الزرافة ذات الخمسة القرون
٨١٣	الكاس الاميركية وسباق الخيول (مصورة)
٨١٧	الواحات المصرية . لنسيم افندي برباري
٨٢١	منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٨٢٦	الامير نجر الدين المعني . لرجي افندي بني
٨٣٣	غرائب الشعوب (مصورة)
٨٤٠	فلسفة النوم
٨٤٥	تركة السلف . لمحمد افندي كرد علي
٨٥٠	تربية الاولاد . من كتاب للدكتور اسكندر بك جريديني
٨٥٨	العقل والعمران

٨٦٧	باب المراسلة والمناظرة * بيان . الحق والخلق . أفيد كتاب في التربية . ردّ على ردّ
٨٧١	باب تدبير المنزل * قريض المرضى . شكوى الامهات من تربية البنات نزع آثار الحامض
	عن الثياب . تنظيف الالبستر . صابون لنزع الدهن . مدارس جديدة للبنات . تنظيف العاج
	والعظم . نزع آثار الدم . نزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منه . نزع آثار القلوبات
٨٨٠	باب التقريظ والانتقاد * The Pupil's Grammar . السودان . ارشاد الاليا
	ورسالة الف با . تحقيق ناموس موسى . ملكة على عرش الفراعنة . تدبير الاطفال في الصحة
	والمرض . الكتاب الرابع من مراقبي الترجمة . كتاب الالفاظ المترادفة
٨٨٧	باب المسائل * ظهور الانبياء . العجائب . قياس الابعاد عند العرب . البحث العلمي . ابعاد
	النوم . هوا * راس البر . رطوبة راس البر . الناس والروثوس الطيارة . الطالب الروحاني
	رافعة هوائية
٨٩٠	باب الاخبار العلمية * وفيه ١٧ نبذة
	رواية كلبو باطرة ملحقة بالمقتطف

وكان انوبس رئيس الكهنة قد خاف من ان تقع الكاس في يد الرومان ان هم استولوا على القطر المصري فيستخيمونها في مضرة المصريين وعزم ان يلاشيها حاسباً ان ملاشاته لها تنطبق على غرض الملك نكتانيبوس صانعها لانه صنعها لفائدة المصريين دون غيرهم فامر ان يوقد الكور ووضع الكاس فيه فصهرت امام عيني كليوباترة . ثم قال لها ان هذه الكاس من اثمن كنوز مصر وعرش مصر اثن منها بما لا يقدر وانا اعرف رجلاً سيكون السبب في ثل هذا العرش وحرمان مولاتي الملكة واولادها منه ولكن المرأة تضحى كل شيء لاجل من نخبه . ولم تدرك كليوباترة معنى انوبس حينئذ ولكنها ادركته في اليوم التالي حينما جاءها تماجنس رسول اكتاثيانوس واخبرها بما اشترطه مولاه من شروط الصلح . وقد قابلته بالاكرام كما يليق بن كان استاذاً لها واصغت الى كلامه وابانت له انها لم تنزل على ذكاء عقلها ثم صرفته بالهدايا النفيسة بعد ان اطلعها على كل شيء .

ولما انفردت بنفسها وراجعت كلامه خفي فؤادها وارتعدت فرائصها وتناوشتها الهموم والاشجان وكانت قد استدعت اعضاء مجلس المملكة للاجتماع فاجلت اجتماعهم الى الغد وعزمت ان تسير في البحر متنزهة عساها تجد شيئاً من السلوى

وكان الطونيوس قد ابى مقابلتها فغاضها ذلك وافتكرت بالكاس وندمت لانها اتلفتها وكانت الكاس من تحف ايسس فافتكرت بتلك المعبودة وتذكرت السلوى التي كانت تجدها في هيكلها حينما كانت ترفع نفسها من حطام الدنيا الى مساكن الالهة فلبست ثوباً سادجاً ونقاباً يحجب وجهها واخذت معها ايراس وسارت الى الهيكل فوجدته مزدحماً بالعباد وهمت بالرجوع واذا هي بجورجياس ويبدو رسوم كثيرة فنادته اليها وكنته على افراد فاخبرها عن تخريب الغوغاء بيت دديموس الفيلسوف وان دديموس يود الان ان يبيعها بستانه اذا بقي مشمولاً بنظرها . فطلبت منه ان يريها الرسم الذي رسمه لوصل التحف بالهيكل فاراها اياه فاستحسنه وامرته ان يشرع في العمل حالاً ويتمه باسرع ما يمكن ثم مشت معه الى بستان دديموس ورأت المكان الذي اشار ببناء المدفن فيه وما يجب ان يهدم من الابنية لوصل الهيكل بالقصر وبناء المدفن . رأت ذلك كله ملياً واطرقت الى الارض ثم رفعت عينها وقالت له احسنت اشرع في العمل حالاً ولتكن الحجارة والاعمدة من انحر ما يكون . ثم ودعته وعادت الى القصر فقبل هذب ثوبها وهو يحسب انه نال السعادة كلها

وكانت لابسة ثوباً اسود وواضعة نقاباً على وجهها حتى لا تعرف ولكن ملامحها كانت تبين من تحت نقابها فتدل على جمال فتان وكلما اشارت يديها نظر جورجياس اليهما واعجب بانتظام

شكلهما حتى انه على مهارته في النقش لا يستطيع ان يصنع تماثله اجمل من ذلك . وكان قد رأى هيلانة في الصباح وحاول ان يقابلها بكليوباترة ثم سمعها تكلم ففتح قلبه سروراً بها ولكن حالت صورة كليوباترة بينها وبينه على اسلوب لا يدركه فقال في نفسه حرام علي ان اعلق قلب هذه الفتاة بي وقلبي يميل الى غيرها

وشعرت كليوباترة ان جورجياس يحب بها فسرّها ذلك وعلمت انه يفعل ما تأمره به عن طيب نفس ويبذل كل ما في وسعه لمرضاها . وقد امرته ان يجعل اسفل المدفن وسيعاً لان الطونينوس صرّح مراراً انه يود ان يدفن الى جانبها اينما مات وظهر لها ان شمسها قاربت المغيب فلا يعيش بعدها طويلاً . وعادت الى تدكّر الكاس ولامت نفسها على تسرعها في اتلافها وذكّرتها شارميان في الصباح ان عيد مولد التوأمين يقع في ذلك اليوم ولا بد لها من الاحتفال به وعزمت ان تخبرها عن هرب بارين وانها هي سعت في تربيها ولكن جاء تماجنس حينئذ فلم تستطع ان تخبرها

ولم تستفد من ذهابها الى الهيكل الا ان كلامها مع جورجياس حوّل افكارها عن المشاغل الحاضرة الى آخرتها فلم تعد تفكر الا بها فدخلت الغرفة التي جعلتها مقاماً لثال برنيكي واقفلت بابها وجعلت تفكر في امرها فقالت على م ابني قبري واقفي على نفسي يدي وميدان الحياة فسيح امامي . على م لا اشير الى واحد من اخصائي اشارة واحدة فيورد الطونينوس حنقه في طرفه عين او علي م لا اشير الى رئيس الحرس المكذوني فيقبض عليه ويسلمه لاكتافيانوس . ثم خطر ببالها الكاس التي استهوتها حتى طرح شرفه وشهرته وقوته واقفي خطواتها كأنه ظلمها وقالت اني انا الملوثة لا هو فحرام علي ان اخون عهده . وعادت تفكر في مستقبل اولادها وخير بلادها وما يتهددهم ويتهددها من الخراب والاضمحلال واستطردت الى التفكير بالموت وظلام القبر وفناء الجسد والعقل بعد ان بذلت ما بذلت في تقويتها وترفيهها وآلام النزع وقت الانتقال من الحياة الى الموت وما يمكن ان يعد لها في عالم الخلود ثم اذا لم يكن الفيلسوف ابيقورس مصيباً في قوله بالفناء بعد الموت وكان المصريون القدماء مصيبين فماذا نتوقع اذا اشترت بضع سنوات اخرى من الحياة يقتل زوجها وخيانة عهده . وقد يكون النشر والحشر والحساب والعقاب احاديث خرافة وضعها الكهنة سياجاً للشريعة وردعاً للاشرار ولكن نفسها اليونانية ناجتها قائلة انك سترين اسلافك في مهاوي الاشرار لا في منازل الابرار الى اورجيتس الاول فماذا تنتفعين من السنين التي تشتريها بدم زوجك وكيف تقضي لياليك وحية الضمير تنهش فؤادك واي سعادة لمن خالف تعاليم ابيقورس وقتل نفساً بريئة .

وإذا أتبت مقتضى طبعك وأولت الولائم وأدبت المآذب فمن يشاركك فيها بعد ان نقضي على من لم تكوفي تطيقين دخول وليمة بدونه ولمن تلبسين بعده وتزوينين وتحاولين نزع الغضون من جبينك وهل السنين التي تحيينها بعده تستحق هذا العناء وهي سنو تعب والم وضعف وشيوخه لاسيا وانك ستخسرين بها الشهرة التي نلتها بانك اجمل نساء عصرك

والاولاد — لاشبهة ان مشاهدتهم كباراً متبوتين عروش الملك يلذك ولكن من يكفل ذلك من يكفل الملك بعده وعواصف السياسة تنتاشك من كل ناحية وهم انفسهم لبسوا اهلاً لمقاوماتها. من يكفل الملك لقيصاريون على ما به من الخفة والطيش وقد اضطرت ان تدوسي القانون لاجله في اول غمرة خاضها من غمرات الحب. ثم الثلاثة الباقيون انطونيوس هليوس وكليوباترة سليبي والاسكندر الصغير انطونيوس هليوس على عرش مصر وكليوباترة سامي تحضن اول ولد تلهه والاسكندر يبدي دهائه السياسي بعد ان يتخرج على ارخبوس ولكن ماذا يقول هؤلاء الاولاد اذا ذكروا امهم وقالوا انها قتلت اباهم

لما خطر ببالها هذا الخطر اقشعر بدننها وارتجفت مفاصلها لاسيا وانها تذكرت الدموع السخينة التي اراققتها لما بلغها ان اباه قتل امها وتصورت قيام اولادها عليها ولعنهم لها فصرخت لا لا لا اشاري بضع سنوات بهذا الخزي والعار ومن اشترىها من اكثانيانوس الذي حرم ابني ميراث ابيه واضطر انطونيوس الى الاقتران باخته فجعلني كسرية له لا كزوجته والتي الرب في نسب اولادي — من الرجل الغدار الذي كان يظهر الصداقة لانطونيوس وهو يطن العداوة له

ولما خطرت ببالها هذه الخواطر شمخت بانفها كبراً وتنهت عزه نفسها التي لم تفارقها منذ صباها وكان يمكن ان ترتكب هذا الوزر العظيم لاجل اولادها ولكنها رأت انه يزيل من نفوسهم اشرف خلق تود ان تفرسه فيهم فاجتمعت عنه بكليتها

هنا امسكت بشكيمة افكارها وقالت قضي الامر ليسرع جورجياس في بناء المدفن وقضي على انطونيوس فلامطع له بالحياة. ولقد قضيت اخر ايام حياتي الى جانبه وتمتعت معه بسعادة حسنا عليها اهل المسكونة فالى جانبه بوضع جسدي حتى لا يفرق الموت بيننا وحتى يبق ذكرنا الى العصور التالية مقروناً بالحب والاکرام كشخصين تحاباً ولم يفرق الموت بينهما فيذكرنا اولادنا رافعين رؤوسهم مستعزين بذكرنا ويفتخرون بتزيين قبرينا بالازهار والرياحين وتقريب القرابين الى روحينا. ثم نظرت الى تمثال برنيكي وتذكرت انها كانت تحب زوجها ونذرت ان نقص شعرها ونقدمه الافروديت (الزهرة) اذا رجع من سورية سالماً فجحد الناس اسمها وسُموا به

كوكبة من كواكب السماء الى هذا اليوم . ولم تكن تلك المرأة حميدة السيرة لكنها احسنت بهذا العمل صنعا فآكرمها الناس عموما وهي (اي كليوباترة) ستفعل ما هو اعظم من ذلك فلا تقدم للآلهة حفنة من شعرها بل تضحي نفسها على مذبح امانتها لزوجها . فرفعت رأسها حينئذ حاسبة انها صممت على احمد الاعمال ولكن لم تلبث ان افتكرت بما يحل باولادها بعدها فخفضته وكان حربا نخست فوادها

الفصل الحادي والعشرون

عادت كليوباترة الى غرفتها وهي تحاول اظهار البشاشة وطلاقة الوجه ورأيتها ايراس فعجبت من هذا التغير وقالت لها ان اولاد المدينة اتون لتهنئة ولديك التوأمين بعيد ميلادها وشارت الى موكب حافل بالاولاد من الصبيان والبنات بلغ اوله باب القصر وكان من عادة المصريين ان يحتفلوا احتفالا باهرا بميلاد اولادهم فاجتمع اولاد المدينة الذين من عمر التوأمين وجاءوا بهذا الموكب ليهنئوها ويقدموا فروض التهنئة والولاء لاهما فلبست كليوباترة حلة ملكية باسرع ما يمكن وخرجت الى رواق القصر حاسبة ان موكبهم هذا احسن فال لرضى الآلهة بما عزمت عليه اخيرا ومسكت ولديها بيديها فمر موكب الاولاد امامها وهم مئات من الصبيان والبنات وكان مع الصبيان طافات من الازهار ومع البنات سلال مملوءة زهرا وكلهم مكللون باكاليل من الازهار والرياحين مرثوا وهم يغنون اغنية فيها دعاء للآلهة بحفظ الولدين وامهما ونجهم السعادة الدائمة . وتلت زعيمة البنات خطبة مختصرة باسم المدينة وكان منظر الاولاد وهم مجتمعون امام الملكة تحميلة ازهار ورودها وجوهمهم فشكرت الملكة اهالي المدينة على ارسال تحيتهم لها عن يد اعز شيء لديهم . وجعل الصبيان يقدمون طافات الازهار الى ولديها والبنات يفرغن سلاهن تحت اقدامها ودنت بعض البنات من الملكة وعانقنها كما يعانقن امهاتهن فانغورقت عينها بالدموع وكانت شارميان قد اعدت لهم الهدايا فادخلتهم الى غرفة كبيرة ووزعتها عليهم امام الملكة فسررت الملكة بذلك حتى اذا انصرفوا ورأت شارميان السرور باديا في وجهها عزمت ان تعترف بما فعلت في امر بارين كثيرا ما يحدث ان الامر الذي نستعظمه ونستععبه يكون من اصغر الامور واسهلها لان قيمة الشيء نسبية فليس امر عظيم في نفسه وانما عظمته بالنسبة الى امر آخر دونه وقد حدث امس واليوم من الحوادث ما صغرت عنده حادثة بارين حتى لم تعد الملكة تعبها بها شرعت شارميان في اعترافها هكذا : قالت انها صارت تشعر بالتعب وتود الراحة ولم

يخطر ببالها قط ان تفارق مولاتها ما دامت محتاجة الى خدمتها ولكنها ترى الآن ان الاستغناء عنها صار سهلاً

فاعترضتها الملكة قائلة هذا ضرب من المحال لا يمكنني ان استغني عنك بوجه من الوجوه . فسافت شارميان الحديث الى بارين وقالت انها هي ساعدتها على الحرب لانها واثقة ببراءتها وخافت ان تظلم . فقطبت الملكة حاجبها لحظة ثم تبسمت وضمت شارميان الى صدرها وقالت اني مهما كانت عيوبني فنكران الجميل ليس منها ولقد خدمتني منذ حدثتني الى الآن وتركت كل شيء لاجلي فحاشا ان اؤاخذك بعمل واحد اسأت به اليّ ولك ان تسيئي مراراً فابقى مدبونة لك كثيراً ولا استغني عن خدمتك مهما فعلت

ورأت شارميان انه لا شيء يمكن ان يفصلها عن مولاتها فاخذت تشكرها على حلمها فقالت لها كليوباترة انك خدمتني بمساعدة بارين على الحرب وانا لم يخف عليّ سعيك في نجاتها ولكني لم اشأ ان اسألك عنه وحسبي انها بعدت من طريق قيصريون اما انطونيوس فقد انفصل عن الناس بسور منيع فلا اخشى عليه منها ايضاً

فجعلت شارميان تبين للملكة فساد التهم التي اتهمت بارين بها وغرض الكساس من ذلك وان انطونيوس لم يرّها الا مرة او مرتين ولم يكن يكثرث لها . ولكن كليوباترة لم تصغ الى كلامها بل كانت تفكر بامر انطونيوس وبناء السور الفاصل بين قصره والمدينة وانكاره عليها الحضور اليه فقالت لقد انقضى عصر الحب ومضى زمانه وهذه قصة مضت وامور ختمت فزال معها الغيرة التي نغصت عيشي

وظلت شارميان نقص النواذر من حياة بارين وتثبت بعدها عما اتهمتها به الملكة والملكة تفكر بانطونيوس ولا تخيله الا وهو في عنفوان قوته وتلوح الكاس امام عينها والنعل الذي فعلته بانطونيوس حتى صيرته عبداً ذليلاً لها فتغناظ من نفسها وتقول لا بد من ان اكفر عن ذنبي ولو بنفسي وعرشي

ودخل الكساس حينئذ وجعل يشكو من ان انطونيوس انتدبه لامر هام يمنعه من تنفيذ امر الملكة واتباع المرأة التي هربت من العدل فانه امره ان يذهب في سفارة الى هيروودس ملك اليهود لكي يقنعه بالعودة الى حزب مصر ولا بد له من ان يغادر الاسكندرية في ذلك اليوم ثم توسل الى الملكة ان لا تهمل امر بارين وامر عشيقها الذي اعندى على ابن قيصر وجرحه لكن كليوباترة انتهرته قائلة كفي ثم تبسمت قليلاً وقالت له اذهب على الطائر الميمون وعسى ان تفلح مع هيروودس ولو كنت ارتاب في ذلك كل الريب . ولما خرج التفتت الى شارميان

وقالت لها لماذا عميتُ عن هذا الرجل انه غدار مكآر . اخبري ديون ليخفي بزوجيه اينما ذهب
لاني لا آمن عليهما من هذا الخبيث وانقاء الاسد اسهل من انقاء العقرب . وقولي لارخيوس
ان يبادر اليّ اليوم اذ لا بدّ لي من استشارته في امر هام وانت ارفعي من بالك امر الافتراق
عني الآن لاننا سنفترق قريباً افتراقاً لا يعقبه لقاء ولا تمنعيني من ثقيل وجهك الصبيح
قالت ذلك وضمتها الى صدرها لتقلبها واذا بايراس دخلت ورأتها على تلك الحال
فاخذتها الغيرة وكانت قد جاءت لتستأذن الملكة في مقابلة لوسلس صديق انطونيوس ولحظت
الملكة ما بدا عليها من امارات الغيرة فقالت لها وانت ايضاً احبك كما احبها ولقد سلبت من
كنت تودين ان تبتغي منها ولكني ارجوان تغضي عن ذلك كما اعضيت عنه انا وجزاؤك
عندي المحبة الدائمة لك . قالت ذلك وضمتها الى صدرها وقبلتها . ولما خرجت لتدعو لوسلس
قالت في نفسها ما من امرأة فازت بحبة الناس كلهم مثلها ولذلك صار عندها خزائن من الحب
تهب منها لمن تشاء فتطيب القلوب وتنعش النفوس بل هي الشمس تهب نورها وحرارتها للجميع
من غير حجاب ولذلك تعلقت بها القلوب فلا عجب اذا احببتها اكثر مما احببت كل احد بل
اكثر مما احب نفسي وما من احد يحبني مثلها حتى ولا ديون ذلك الرجل المجنون ولكن من
يدرك كل غوامض الحب لماذا فضل انطونيوس كليوباترة على اكتافيا ولم تكن اكتافيا اقل
من كليوباترة جمالاً وكان في يدها نصف السلطنة الرومانية

ثم عادت ومعها لوسلس وهو بطل باسل خاطر بنفسه وخلص بروتس من القتل فاحتفل به
انطونيوس وقربة اليه فراقه في واقعة اكتيوم واتى معه الى الاسكندرية وكانت الايام
الاخيرة قد شابت شعره وانحلت جسمه فلما دخل حياً الملكة وقال لها انه جاء من لقاء نفسه
لكي يستعطفها ويحضرها على الاهتمام بامر انطونيوس عسى ان تنعشه وترد اليه البهجة التي فارقه
وكاد عقله يفارقه معها فقد تملكته السوداء وصار يسي الظن بالناس كلهم ولم يعد يشاء ان تقع
عينه على احد

فاصغت كليوباترة اليه وسألته عن السبيل الذي يزيل الغم من نفس انطونيوس
فقال لا سبيل الى ذلك لانه يندب الماضي دواماً ويقول ان اعماله كلها كانت من قبيل
العبث وان المسرات التي تمتع بها تكررت عليه مراراً حتى ملها ثم كرها ولا تنفع الا في الحاجيات
كالخبز والماء ومع ذلك فقد ملها ايضاً واما الاطايب والمفاخر فكها ظل زائل وغيم جهام .
وامس تكلم عن الذهب فقال اولاً انه مطلب جليل يستحق ان يعنى به ثم ضحك وقال ولكنه
يقود الى التمتع بملاذ تمرض النفس ولذلك لا يستحق ان يمد الانسان اليه يداً . والقدمان

اللتان تدوسان تلج الجبال تبردان واللتان تدوسان وحل العمقات لا تبردان ولكنهما تتلطحان بالحمأة. فقلت له ولكن بين الجبال والعمقات سهولاً وأكاماً ومروجاً نضرة فقال اني لا ارضى بالوسط . ثم صرخ قائلاً لقد غلبي اكتافيانوس واغربا وانا الآن رجل مقهور ولكن هب ان جبالاً وقع علي فخطمني او فيلاً داسني فسمحق عظامي فاني ابقى افضل منهما. فقالت كليوباترة هذا الكلام الاخير كلام انطونيوس بالذات . فقال ولكنه فلما يتكلم بمثل ذلك واكثر كلامه شكوى من نفسه ومن الدهر ومن الخائفة التي ختمت حياته بها

وكان لوسياس عازماً ان يكثر من مثل هذا الكلام انتقاماً منها لاعتقاده انها هي التي اغرت انطونيوس واضعفته لكنه رأى الدموع تجول في عينها فامسك عن الكلام ثم عاد فذكر عبارات قالها انطونيوس وفيها ذكر كليوباترة وحبها لها وقال انه ذكر زوجته الاولى فلقيا فشبهها بعاصفة ملأت شراع سفينته وسيرتها في بحر هذا العالم. فقالت كليوباترة نعم وهو مديون لها وانا مديونة لها ايضاً لانها علمته الخضوع لسلطة المرأة . ثم قال وذكر زوجته الثانية اكتافيا فقال انها الطريق القويم الذي يؤدي الى السعادة والذين يسرون فيه يرحب بهم الالهة . فقالت كليوباترة وعلى م لم يكشف بها . فقال لان الاعتدال ليس من طبعه فهو لا يكشف بالوسط من الامور كما قلت سابقاً. فقالت وماذا قال عني قل لي . فقال لقد طلبت مني الجواب عن هذا السؤال وامرك مطاع شبهك بوليمة تولم للاحتفال بالظفر فيحضرها المدعوون والا كليل على رؤوسهم فيشربون ويطربون قبل الشروع في القتال

فقالت ثم يعودون منه مدحورين لقد اصاب ولا فائدة من الوليمة بعد القتال فيجب ان تولم قبله ولقد حان لنا ان نختم هذه الرواية المتعبة ولكن لا بد لنا من الصلح قبل ختامها فان كنت تظن انني استطيع ان ارد اليه قوته وبهيمته فاني افعل ذلك عن طيب نفس وقد فضينا في هذه الوليمة سنين كثيرة فلا نبخل بالوقت القصير الذي يقتضيه النقل . لكنني طلبت زيارته فاني فبماذا تشير

فقال لا اعلم وانت ادرى مني وقد جئتك الآن ألتس ان تسحي بمقابلة ارس عبد انطونيوس الخاص بخدمته وهو عبد امين لمولاه يفتديه بنفسه وقد نذركين ما قاله الملك الطيوخس وهو انه ما من احد يكبر علي عبده الخاص بخدمته . فهل تسمحين له بمقابلتك ولو بضع دقائق فان انطونيوس عنقه منذ زمن طويل ولم يبق عبداً

فقالت ليأت فلا ارد لك طلباً لاني اعلم منزلتك عند انطونيوس. قالت ذلك وصرفته ولم يكذب يخرج حتى دخل التشريفاتي وقال ان وفداً من قبل ادارة التحف يطلب مقابلتك فاذنت

لهم في الدخول فدخلوا وبسطوا لها شكواهم مما فعله الزعاع ببيت دديموس واعربوا لها عن ولائهم لشدتها . فأكدت لهم انها تجل مقامهم وانها امرت ان يعطى الفيلسوف دديموس ما يرضيه وانها تكرم الفلسفة والفلاسفة ودليلاً على ذلك تهب المتحف مكتبة برغامس التي وهبها اياها انطونيوس وفيها مئتا الف مجلد من نخبة الكتب واملت ان ذلك يرضي دديموس ويعزیه عمماً اصابه على غير رضاها ويقوم مقام بعض الخسارة التي خسرتها المدينة باحتراق مكتبة المتحف . فاعادوا تأكيد ولائهم لعرشها والدعاء لها وخرجوا من حضرته وكان كثيرون منهم يقدرونها قدرها ويحسبوننها من نوابغ النساء بل من كبار الفلاسفة

ولم تكد الشمس توارى في الحجاب حتى جاء كهنة سرايوم معبود المدينة بموكب عظيم يحملون التماثيل والدخائر ويرتلون ترنيلاً رخيماً ويتقدمهم ويحيط بهم حملة المشاعل والطبول والصنوج حتى اذا دنوا من القصر سطعت انوار المشاعل وعلا نغم المرتلين تمازجه اصوات الصنوج وسائر آلات الطرب حتى يحال للرأي ان امواج النور اكتنفت القصر وابعاه البحر واماوجه وعلت فوقها اصوات المغنين والعازين كانوا بجزر فوق بحر حتى كادت تماس السماء وكواكبها فوقفت كليوباترة تنظر الى هذا الموكب الرهيب الى ان سار من امامها كلة وحللك الظلام وراءه فقالت في نفسها ان هذا المعبود الذي اتى به اسلافي وجعلوا هذه المدينة مقامه وجعلوا فيه مزايا آلهة مصر واليونان قد ختم الآن على صحة ما نذرته وعزمت عليه والقبر ببنى وسوف يدفن انطونيوس فيه معي فيرتبط قلبانا في المات كما ارتبطا في الحياة . ولكن ما دمنا في قيد الحياة فلا يليق بنا ان نطرح سلاحنا ونسلم بلادنا لاعدائنا غنيمة باردة فلا بد لي من ان اضرم نار النخوة والحمية في صدر انطونيوس ولو انقذت كما يتقد السراج قبلما ينطفئ ثم خطر ببالها ابنتها الاكبر قيصار يون بن قيصر وقالت ترى لو انتبه انطونيوس كما اتوقع وجعلت قيصاريون رفيقاً له اما كانت روح ابيه تنبته فيه فيهب الى طلب المجد والشهرة ويحفظ ملكه من الضياع . ثم التفتت الى كوة غرفته فرأت النور ينبعث منها فقالت انه لا يزال مستيقظاً فامضى اليه واستطلع امره ونادت شارميان وسارت معها نحو غرفة قيصاريون فلما دنت منها سمعت صوته وصوت انتاس بن الطونيوس وسمعت اسمها واسم بارين فوقفت تصغي الى ما يقولان فاذا انتاس يقص على قيصاريون ما اخبره الكساس به وهو ان كليوباترة عزمت على ان تنفي بارين الى المناجم وثقاص ديون قصاصاً صارماً ولكنهما هربا كلاهما وتحزب الفتيان لديون . ثم قال وقد عزمت ان احث ابي على البحث عنهما حالما ينزع هذه السوداء من نفسه ولا يتعذر عليه ان يجدهما لانه مغرم بالجمال وقد وقعت عينه على هذه الغنية ولا اظنه نسيها فاذا عثر

عليها فلا اظن انك تستطيع ان تستخلصها من يده لانه امر منا بمغازلة النساء رغماً عن
ايضاض شعره وبارين لا تهتم برجل الأبعد ان يخطه الشيب . ولقد امرت رئيس الشرطة
ان يقتني آثارها برجاله وهم اطوع له من بنانه

فقال قيصاريون اواه لو لم اكن ملقى هنا كالكلب لكنت اجدها حالا لان صورتها لا
نزول من امام عيني لا نهاراً ولا ليلاً وقد انفقت حتى الآن كل ما املك في التفتيش عنها
وارسلت امس وراء الخازن سلقوس ولكن ما فائدتي من ابي ابن امي وهذا الرجل لا يطيع
لي امرأ ولا يعطيني المال الذي طلبته منه وامي تنفق الملايين تطرحها في الرمل لكي تحفر بركة
تخفي فيها سفنها وكان يمكن ان تشتري بهذه الاموال الف جاسوس فيقضون اغراضها اما هي
فلا تعمل الا ما يحظر بياها وتترك ابنها يموت كمداً لكن لا بد من الوصول الى بارين ولو خسرت
ناج الملك . واني لاضحك على نفسي حينما يدعوني الناس باسم ملك الملوك لاني لست صالحاً للملك
ثم على ماذا املك والمملك يزول قبلما اصل اليه فاننا مغلوبون واذا استطعنا ان نصالح الرومانيين
ونفوز بجيانتنا وباملاك نعيش منها فذلك غاية مناي . وماذا يعنيني انا من مصر فاني ابن قيصر
وملكتي رومية ولكن الآلهة قضت بنزعها مني . ومن يطالب منه ان يملك العالم يجب ان يكون
اقل نوماً مني اما انا فاشعر دائماً بالتعب والكسل . فدعوني وشأني وها ابوك قد اتى سلاحه
واقتردى بنا في طلب الراحة

فقال انتلس ولكن لا بد من ان يستيقظ وينهض كالاسد

فقال قيصاريون ان فعل ذلك فاني تهرب وابوك يتبعها . لقد خسرتنا كل شيء ولكن
الملوك واولادهم لا يقتلون ولا اظن انهم ياخذوني اسيراً ليعرضوني في حفلة الظفر لان اسم ابي لم
يزل مكرماً في رومية وقد بلغني ان الجند كله يعصي ان فعلوا ذلك ولكنهم اذا فعلوا واخذوني
ليبروني وراء مركباتهم فاني اعرف كيف اتخلص منهم بالطريقة الرومانية القديمة ولا شيء
اطيب لي من الموت لانه نوم مستمر . ومهما فعلوا بي فاني تعلمت القناعة من صغري فارضي به .
وليس من شأننا ان نخرج اذ اكتافيانوس على الحجي الى هنا ولكن ان جاء غفاية ما اطلبه منه
ان يستقي امي واولادها ويعطيني ابعدي فيها بركة كبيرة مملوءة سماً ويسمح لي ان اخنار
الزوجة التي اريدها فاذا عشت كذلك اصيد السمك واقرأ الكتب وزوجتي الى جانبي وهي من
اصل وضع لي اقدر ان اتسلط عليها ولا تتسلط هي علي فذلك غاية مناي

فقد انتلس رجله وسند رأسه الى الوسادة واضعاً كفيه تحته وقال له لو لم تكن ملك
الملوك لقلت انك ولد خسيس حقير . فان من اسعده الحظ حتى جعله ابن قيصر العظيم يجب

عليه ان لا ينسى ذلك وانا آسف جداً لانني اخذتك الى بيت تلك المغنية وعندي ان ابن
قيصر يجب ان يترفع عن هذه السفاسف ثم ان بارين لا تحبك ولا تكثر لك وقد ابانت ذلك
صريحاً واذا تمكّن رئيس الشرطة من القبض عليها فلن تذهب معك الى المكان الحقير الذي
تطلبه لتشاركك في صيد السمك لاننا اذا وجدناها ومدّ الي يدها لا تعود تراها سيّ
حياتك فقد راها مرتين فقط فاخذت عقله ولا بدّ من ان تكون المشاغل انسته اياها الآن
ولكن ان ذكرته بها فمن يدري ماذا يحدث

ولما قال ذلك دارت كليوباترة ورجعت من حيث اتت وتبعتهما شارميان حتى وصلت الى
غرفتها مطرقة الرأس مكسورة القلب فجلست وقالت لشارميان لقد اخطأنا في وقوفنا نسمع هذه
الافوال هل بارين في حرز حرز

فقال شارميان لا اعلم ولكن ارخبينوس مطمئن من جهتها
فقال عسى ان يكون الامر كذلك ولو كانت هنا الآن لكنت امنحها كل ما تطلب مني
تكفيراً عن سوء ظني بها وبالطونيوس . ثم ان الكساس كان عازماً ان ينفذها الى المناجم .
باللعار كيف يخدعني هؤلاء الاشرار . يجب ان احترس من ضعفي قبل كل شيء اواد ما
اضعف الانسان

قالت ذلك والقت رأسها على يدها بعد ان سندتها على مائدة من خشب الساج وكان
في اصابعها وذراعها من الخواتم والاساور ما يشتري مملكة فانتبهت الى ذلك وودّت ان تطرح
كل حلاها في النار بل وودّت لو كانت فقيرة تستعطي ويكون ابنها حريصاً على مقامه ولو مثل
انتس ولم يخطر ببالها قط انه بلغ هذا الحد من الخسة والدناءة فاطرقت الى الارض هنيهة
ثم قالت في نفسها اني احصد الآن ثمرة ما زرعت فاني اضعفت ارادته لكي لا يعصيني فمات
تماماً . هذا زرعي وهذا حصادي . يحصد الانسان ما يزرعه

وكان قد مضى على ارس عبد الطونيوس ساعنان في انتظارها فاذنت له في الدخول فدخل
واخبرها باحوال مولاه تماماً ولم يخف عنها شيئاً وقال ان انت ارسلت اليه شارميان وجاريتها
انوكس التي سماها ايسوبيون وارسلت معها رسالة حبية فيلوح لي انه يرحب بهما فتفارقة
السوداء التي تولته الى الآن لاسيما وانه يسرّ بكلام الجارية الحدياء ولسانها الذلق
فاستغربت كليوباترة كلامه وقالت له لا ارى كيف تستطيع جارية مثل انوكس ان

تزيل الهموم من نفس بطل عظيم مثل انطونيوس
فقال لها لتعف مولاتي عن جسارتي ولكن العطاء يسمحون لنا نحن العبيد ان نرى منهم

أحياناً ما لا يراه بعضهم من بعض . ولا يرى حقيقة العظماء إلا الآلهة والعبيد . وسوداء مولاي ليست شديدة كما تظنين بل هو يرغب في الظهور بمظهر المعبود ديونيسوس ويرى احواله الحاضرة لا تناسب ذلك فاختر العزلة على الظهور . وكثيراً ما يتكلم كلاماً يدل على انه غائص في بحار الكآبة واليأس ولكنه لا يبدي شيئاً من ذلك امامي اذا كنا وحدنا . واذا جئته بنكتة نكاهية فالغالب انه يضحك ويقابلني بنكتة مثلاً . وامس ذكرته بما فعلته مرة وهو يصطاد السمك كيف انك جعلت احد القواصين يعلق سمكة مملحة في صنارته فجعل يقهقه حتى فخص الارض برجليه ثم قال سقياً لتلك الايام ما كان احلاها . فان كانت السيدة شارميان تذكره بالايام السالفة وانوكس تملج الكلام بشيء من الهزل والنكت على جاري عاداتها فانا الكفيل برد بهجة الامبراطور اليه والا فاجدعي انفي واصلي اذني . ويجب ان تذكره بولديه التوأمين والطفل اسكندر فاني كلما كلمته عنهما تبرق اسرته ويبش وجهه لانه يحبهم حباً شديداً . ولا يزال يتكلم مع لوسليوس وغيره من خواصه عن انشاء مملكة عظيمة في المشرق تكون الاسكندرية عاصمة لها . ولا يزال دم الفتوة يجري في عروقه وبالامس امرني ان اسن سيفه الفارسي قائلاً ربما نحتاج اليه قريباً ثم استله وهزه فتألق في يده كالبرق . واقسم لك بكل الآلهة انه لا يزال في ذراع قوة ثلاثة ابطال فاذا عدت اليه واجتمع رجاله حوله عادت اليه بسالته القديمة

فقلت عسى ان يكون الامر كما قلت وسأتبع مشورتك

ولما اتت ايراس لتقوم مقام شارميان وجدت الملكة جالسة غائصة في بحار الافكار ثم قامت الى سريره ولم تتكلم الا بعد ان خلعت ثيابها فقالت لقد كان يومنا كثير التعب يا ايراس ولم يأتيني الا بمصدق ما قاله الحكيم " يحصد الانسان ما يزرعه " فقد نستطيع ان نمنى النبات او نضعفه او نخوله من جهة الى أخرى ولكن كل قوآت السماء والارض لا تغير نوع ثمره عما هو في طبعه . ولقد زرعت زرعاً رديئاً فكيف اتوقع منه ثمراً صالحاً . ولكن لم يفت الوقت وسنزرع ما يجب زرعه في عقول الصغار ولا بد من الاهتمام بذلك قبل الاهتمام بنفسي . وسأتي جورجياس غداً وتنظرين رسم المدفن معي ويحق لك ان تنظريه لانك ستزورينه أكثر من كل احد

فاضطربت ايراس وقالت ان قبرك لا ينتظر زيارتي لاني لا أعيش ساعة بعدك فقالت لها الملكة وقت الآلهة شبابك وما لنا ولذلك الآن فنحن احياء وسنوقد نار الحرب ثانية

الفصل الثاني والعشرون

ذهبت كليوباترة لتنام فلم يكدها يغمض لها جفن لكثرة ما هجس في صدرها من الهواجس وما فكّرت فيه من التدابير ولم تجد اسلوباً تنجو فيه من العار خيراً من الاسلوب الذي صممت نيتها عليه

وجاءها تماجنس في الصباح وافرغ جعبة بلاغه في اقناعها واعداً اياها بالحرية المطلقة واولادها بالملك الدائم ان هي سلمته انطونيوس حياً او ميتاً فاصرت على رفض ذلك فودعها وركب سفينته وعاد الى رومية حالاً

ثم جاءها جورجياس ومعه رسم المدفن ففتحه مع ايراس ولكن كان بالها مضطرباً فلم تستطع امعان النظر فيه فقالت لجورجياس عُدْ به اليّ في اواخر النهار ثم عادت الى غرفتها واخرجت المكاتب التي ارسلها اليها قيصر والمكاتب التي ارسلها اليها انطونيوس وتلت بعضها فقالت ما ابغ مكاتب قيصر ذلك الخطيب الملق الذي كان يتسلط على عقول سامعيه بقوة حججه وشدة عارضته ومع ذلك كان زمامه في يدي اصرفه كيف اشاء وكان حبه لي خالصاً من كل شائبة لا دعوى فيه ولا غضاضة . ثم التفت الى مكاتب انطونيوس فخفق فؤادها لان شارميان وجاريتها ذهبتا اليه لتدعواهُ اليها وتلحاً عليه بالجمي حتى يشاركها في آخر حرب تثيرها دفاعاً عن بلادها وكانت واثقة انه يلبي طلبها ويحضر اليها ولكنها لم تكن واثقة انه يشاركها في القتال ويتولّى قيادة الجيش حتى اذا عقد النصر لها امنا طوارق الحدثن والّا فالمدفن معد لها لان لسان حالها كان يقول بيدي لا بيدي عمرو

وجاءها ارخبوس حينئذ فسرّت بما رآته من امارات السكينة والطمأنينة في وجهه وتذكرت الايام السالفة التي قضتها معه في بستان ابيه وهي تتلقى مبادئ العلم والحكمة . فاطلعت على كل شيء الى ان وصلت الى ما صممت عليه نيتها اذا فُهرت في الدفاع عن وطنها فابرت امرته وقال هذا هو الرأي الصواب ولكني اسأل الالهة ان لا تصلي الى هذه الخائفة بل تعيش ايضاً عمراً طويلاً بالرغد والهناء وهي ان الاقدار قضت بغير ما نريد فكوني مطمئنة على الاولاد لاني اقف نفسي على خدمتهم وتربيتهم

فقال له اني اعلم اخلاصك وصدق طويتك وانك تمني لي العمر الطويل ولكن الحياة الدنيا ليست ممّا يؤسف عليه كثيراً . ولا بدّ من انك تغبطني اذا استطعت ان اقيم مدفناً لنفسي على ما اشتهي لان قليلين يستطيعون ذلك فهل انا مصيبة في ظني فقال نعم واني اغبطك لانك تستطيعين ان تكتبي عليه انه مدفن ملكة عظيمة وام

حنون اتاحت لها الافذار ان تفارق الحياة بنفسها وتنجو
فقالت وتنجو من العار الذي يلحقها اذا دارت الدائرة عليها فيمحي المجد والابته اللذان
امتا زيهما ملكها

فقال انك حيت ملكة وتعرفين كيف تغادرين الحياة ملكة . ولقد التقيت في الصباح
بشارميان ذاهبة لتدعو انطونيوس اليك ولا بد من ان يلي طلبك فان نجحت في ارجاع
بساتنه اليه فلا يتعذر على ابن هرقل ان يصد الاعداء اذا ساعدته الافذار
فقالت كل شيء بقضاء وقدر ولكن لا بد من الاستعانة به على صد الاعداء لانه جبار
مجرّب وكل شيء مصيره للزوال والردى مكتوب على جبين كل حي حتى على آملنا واعمالنا
الا ترى كيف رحب المهندسون بالرأي الذي ارتأته لوصل هذا البحر يجر القلزم لكن ظهر
لدى البحث انه ليس مستطاعا فآملنا تحفر مدافنها بايديها وقد افل نجم سعدنا وارى في كل
بريد خبرا عن هجر الاحلاف ولا اجد حولي غير الثار الفاسدة التي زرعتها ولكن قل لي ولا
تخني علي شيئا ايجي لي ان اخجل اذا عد الملكات اللواتي سسن ممالكهن بالعقل والحزم
فقال لها كلا ثم كلا

فقالت ولكن اني ارى الفساد في ثمر كل شجرة غرسها هوذا قيصار يون قد ذبل وهو في
فجأة الشباب واللوم علي لا عليه . فاعتن بالثلاثة الباقين وحذرهم من اقتفاء خطواتي
فقال اني سأربهم حتى يكونوا بشرًا مثلنا لا حتى يحاولوا مجازاة الالهة فقد كنت في
بستان ابيقورس غفرا لاتربك وبهجة لهم في الذكاء والحكمة فلم يرضك الا ان تماثلي الالهة
ايسس حتى تنجيه اليك العيون اتجأها الى المعبود . اما اولادك فرائي ان يتربوا تربية اخرى
لا في بستان ابيقورس بل في بستان آخر كتبت على بابي ان السعادة هي الغاية العظمى وهنا دار
تهذيب الاخلاق ومن يترك هذا البستان لا يشوقه طلب الملاذ بل تهذيب الطباع . ولقد
ولد اولادك في الشرق مثلك حيث يرغب الناس في الغرائب ويتهاوتون على الغلو فاذا سلمتني
ابائهم فرادي ان ادرهم على امتلاك طباعهم وادارة سفينة حياتهم بدفة الآداب والنضائل
التي لا تمنع صاحبها من التمتع بملاذ الحياة وجعل شرايعها من الاعندال في كل شيء

فقالت لقد فهمت مرادك فانك تشير الى نقائصي من طرف خفي وانت تصف ما يجب
ان يتعلّق به اولادي . نعم لقد ابعدتني عواصف الحياة عن بستان ابيقورس كما بعدت عنه
انت بارادتك ولكننا لا نزال كلانا مشتركين في تصديق ما قاله ابيقورس وهو ان الصداقة
اثمن ما تناله الحكمة لسعادة الناس . وانت تعلم اني عازمة على ادارة رحي الحرب الاخيرة فلا

استطيع ان اراقب تربيتك لاولادي ولكنني اعينك عليها بشرط ان لا تقول لهم ان امكم لم تهتم براحة البال اللذة التي عنانها ايقورس وكانت تحسبها الخير الاعظم وهي في بستانه بل فشتت عن الملاذ الفانية فصرفت قوى عقلها وبددت ثروة شعبها جارية على مقتضى طبعها لكن نقول لهم ان قلب امكم كان مفعماً بالحب وكانت تحنقر الدنيا وتطلب اسمي المطالب ثم لما افل نجم سعدا فضلت الموت على العار

ووقفت عند هذا الكلام لانها سمعت مشي اناس آتين اليها . ثم قالت اني في انتظار هذه الواقعة وقد لا ينجوانطونيوس من يد اليأس الذي تولاه ولكنني لا استطيع ان انزل الى ميدان القتال وعيناه تنظران الي وهو لا يحرّك يداً لمساعدتي — تنظران بالغيب والجفاء بعد ان كان السرور والحب يفيضان منهما . اواه يا ارخبينوس انت تعلم كيف دخل حبه قلبي وتمكن فيه منذ حدثني . ولكن ما هذا الصوت وهذه الصيحة هل عصي اهل المدينة علينا بعد ان جاءني نوابهم امس واكدوا لي صدق ولائهم . نعم ان ديون من المكدونيين ولكنني اكدت لاعضاء المجلس انني غير عازمة ان احاكمه على جرحه قيصاربون والان لا اعلم الى اين ذهب بزوجه ولا اريد ان اعلم . اوهل غاظتهم الضريبة الجديدة وساء لهم اخذ اموال الهياكل ولكن كيف العمل والدفاع عن الوطن يقتضي حشد المقاومة وابتياح الميرة اوهل وردت اخبار جديدة من رومية

فقام ارخبينوس وقال اسمحي لي ان اخرج وارى ما الخبر . قال ذلك وقام واذا بالتشريفاتي آت مسرعاً وهو يقول جاء انطونيوس ووراءه نصف اهل المدينة . وجاء قائد الحرس الخاص ايضاً وهو يقول جاء الامبراطور جاء الامبراطور وقبل ان يتم كلامه دخلت ايراس مسرعة وهي تقول اتى اتى كنت مؤكدة انه يأتي اسمعي كيف يهتفون له اسمعي يا مولاتي قومي لنقابله من رواق برنيكي

فقال كليوباترة ابيني بالاولاد والبسيهم حل العيد . فنادت ايراس خادمة اسمها زوي وقالت علينا بالاولاد حالاً والتفتت الى الملكة وقالت لها هدي روعك يا مولاتي لا يزال الوقت كافياً لتبسي حلة ايسس التي يجب ان يراك بها . هوذا تاج ايسس فقد جاء اروس الآن وقال ان الامبراطور آت لابسا حلة المعبود ديونيسوس وانه يسرّ لو قابلته مثل المعبودة ايسس . اعينيني ايها الالهة هثور . وانت يا نفورس قولي لحامل المراحل وسائر الخدم والحشم ان يقف كل منهم في مكانه . هوذا العقد والقلادة لعنقك وصدرك . والثوب الشفاف لا ترفضيه لانه يجب ان يراك فيه فاننا كلنا نعلم انه يجب ان يرى الهة في مجدها وجمالها

فوقفت كليوباترة بقلب خافق ووجنتين متوردتين وسلمت بما طلبته ايراس فالبستها حلة
 ايسس وهي مرصعة باللاآء النفيسة والجواهر الكريمة . وكانت تفضل ان تقابل انطونيوس
 بثوب اسود ساذج ولكن ارادة ايراس غلبت على ارادتها لاسيما وان انطونيوس كان آتياً في
 شكل المعبود ديونيسوس فلا يليق ان تقابله الا في شكل المعبودة ايسس . وتعاون اربع من
 الجواري على لباس الملكة فالبسناها حلة ايسس وحلاها ووقفت ايراس امامها بالمرآة وقالت مثل
 الزهرة الصاعدة من البحر ومثل هثور الذهبية . وكأنها نسيت محبتها لديون وغيرها من بارين
 وبفضها لها وكل ما كان يكدر صفاء عيشها ولكنها لم تنس ان تصلي لاجل مولاتها صلاة
 وجيزة لكي ترقبها عين الالهة وتنجح لقاءها بزوجها . ثم فتحت مصراعي الباب بيديها فظهرت
 كليوباترة كالشمس اذا بدت من وراء الغيوم ولم يسع رجال حاشيتها الذين كانوا وقوفاً هناك
 الا ان يسجدوا لها . ومشت الجواري وراءها يحملن ذيل رداءها وسار الغلمان امامها في صفوفهم
 حسب رتبهم ووقف حملة المراوح الى ان انتظم الموكب ثم أمروا بالسير ومروا من دار الى اخرى
 الى ان عبروا الدار الخارجية ونزلوا على السلم المطل على المرفأ والرصيف حيث كان الجمع ينتظر
 انطونيوس

ولاتسل عن اصوات الجماهير المجموعة وندائها المتكرر باليونانية والمصرية وكان الاسكندرية
 كلها خرجت للقاء انطونيوس من كل الطبقات والرتب كباراً وصغاراً بعضهم مشاة
 وبعضهم على ظهور الخيل او في المركبات والخفات وبينهم المغنون والمزمررون والمطبلون
 وموكبهم يموج كالبحر ويسير الهوينا وفي طليعته عرش ذهبي يحمله اثنا عشر عبداً اسود
 وعليه انطونيوس في ذي المعبود ديونيسوس وفي يده صولجان يحيط به تلك الجماهير ووراء
 العرش جمهور الراقصين والعازفين ووراءهم فيلان يحملان شيئاً مغطى بغطاء ارجواني .
 وكان اول الموكب قد وصل الى البرجين اللذين يفصلان القصر عن شارع الملك ووقف هناك
 ووقف حوله رجال الشرطة فرساناً ومشاة يدفعون الجمع المزدحم لكي لا يسد طريقه ويمنع سيره .
 ونظرت كليوباترة حينما وصلت الى الرواق الخارجي فرأت انطونيوس نزل عن عرشه و اشار
 الى العبد الهندي الذي يقود الفيلين فرفع الستار الارجواني عما يحملانه واذا طاقة ازهار لم
 ير مثلها الاسكندرليون في سالف عهدهم كلها من الورد الاحمر تحيط به دائرة من الورد
 الابيض ويحيط بالجميع سعوف النخل وكان في هذه الطاقة اكثر من الف وردة . ثم مشى نحو
 كليوباترة وهي واقفة على الدكة التي امام الرواق وكان اطول من كل من حوله قامته وابدى
 منهم مهابة كأنه من الجبارين وعلى كتفيه رداء ارجواني مزركش بالذهب تجر ذيله وراءه

فتزيد قامته طولاً فمد ذراعيه من تحت الرداء وأشار بهما الى كليوباترة وهما عاريتان
مجدولتا العضل وكان حاسر الرأس اسود الشعر كثيث اللحية قصيرها كان الشيب قد وخطه
لكن الخضاب ازال الشيب ورد اليه نضارة الشباب. وعلى رأسه كليل من ورق الكرم وعناقيد
والعناقيد سوداء مدلاة على ظهره. وقد التى على كتفيه جلدًا كبيراً جلد غر هندي مخطط قتله
في ميدان الصراع وصيغت مخالبه من الذهب ووضع في عينيهِ حجران كريمان من الياقوت
الازرق وعلى الحماله التي علقه بها وعلى المنطقة التي على حقويه كثير من حجارة الياقوت
والزمرّد النادرة المثال وكذلك اساوره وصدرته وحذاءه كلها كانت مرصعة بالحجارة الكريمة
فزادت منظره مهابة وجلالاً ولكنها لم تخف آثار الشيخوخة من وجهه إلا عن البعدين عنه.
ولا بدت صورته للرئين شيئاً يتظاهر بمباهي الشباب لان حبّ الابهة والمجد من طبعه وقد
كان في منظره من المهابة والجلال ما قطع السنة المنتقدين فنظروا اليه صامتين خاشعين. ولما
وقعت عينه على كليوباترة تدفقت البهجة والحمية من وجهه وعينه فوضع يده على صدره
وجثا امامها على ركبتيه ويداه مبسوطتان اليها وكان السرور طافحاً علي وجهها وأشار الى طافة
الازهار وكان ثلاثة من العبيد قد حملوها ودنوا بها منه وكأنّ لسان حاله يقول اذكري تلك
الازهار التي اعطيتني اياها في بستان ابيقورس فكانت فاتحة عهد الحب بيننا فتذكرتها وغلبها
الحب والوجد ونسيت ما هي فيه من مظاهر الملك وما حولها من الوف العيون الشاخصة اليها
فارتقت على صدر حبيبها فنفض ورفعها بين يديه وقبل فاهها وجبينها ثم رفعها ايضاً حتى بان
ابطاه كأنها الهة الظفر ثم وضعها على الارض بتأن كأنها حلية ثمينة

والتفت الى اولاده الثلاثة وكانوا وقوفاً الى جانب امهم وضمهم الى صدره ورفعهم بين
يديه كأنهم دى لا ثقل لهم وعلا هتاف الجماهير حيناً ضم زوجته الى صدره ثم علا ثانية
حيناً ضم اولاده

ولم تسمع جدران ذلك القصر هتافاً مثل هذا الهتاف اشترك فيه اهل الاسكندرية
كبارهم وصغارهم اعيانهم وسوقتهم ورددت صداة القصور والمنازل والمتاحف والهيكل
والمرافق وما فيها من السفن والبوارج وما حولها من الابراج حتى صخور جزيرة الافاعي التي
لجأت اليها بارين